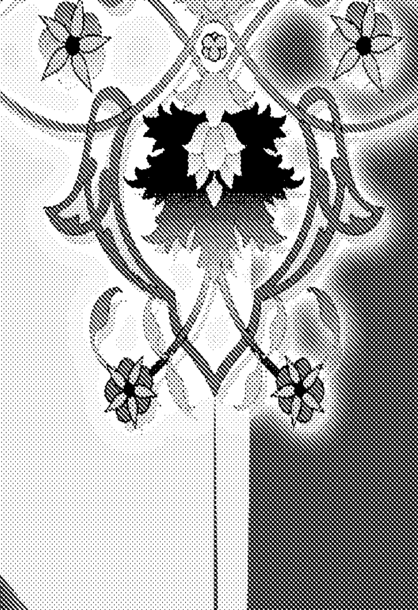
سلسلة العبادات
وأسرارها الروحية

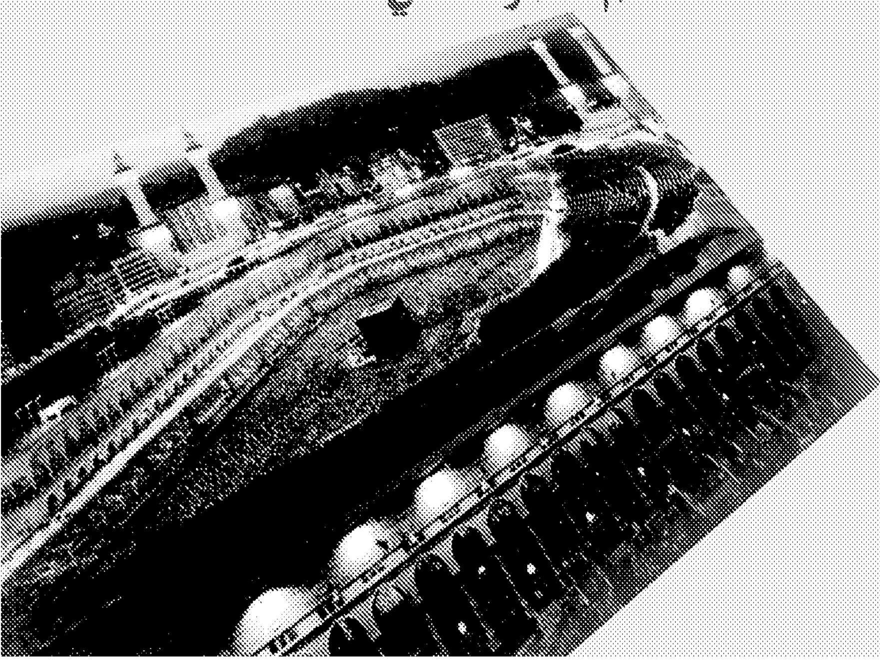


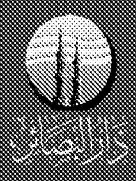
تقريب الدين بين أيدي المسلمين

الحج أحكام فقهية
وأسرار روحية



تأليف
حاتم محمود منسي





مقدمة

الحمد لله رب العالمين أن جعلنا من خير أمة أخرجت للناس، ربها الرحمن ودينها الإسلام، ودستورها القرآن، ونبيها القرشي العدنان، ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ﴾[1].

﴿إِنَّ الدِّينَ عِندَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ﴾[2].

وديننا الإسلامي دين عملي تطبيقي ينظر إلى الناس من خلال فطرتهم التي فطروا عليها... ﴿ فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا ﴾[3] ذلك لأنه دين الفطرة، بل دين الحياة كلها؛ ولذا فهو غير موقوت بزمن ولا مختص بطائفة دون طائفة؛ ولذلك فأحكامه شاملة عامة تخضع لها الحياة كلها ويدين بها الناس جميعًا، لا فرق بين عالم وجاهل وسيد ومسود وأبيض وأسود... لا فضل لهؤلاء على أولئك إلا بشيء واحد حدده خير البرية ومعلم البشرية هو: «التقوى والعمل الصالح».

فالأمة الإسلامية دينها يخاطب الفطرة التي خلقت داخل كل نفس... هذه

---

(١) سورة آل عمران آية: ١١٠.

(٢) سورة آل عمران آية: ١٩.

(٣) سورة الروم آية: ٣٠.

الأمة الإسلامية تتمتع بالوسطية في كل شيء... في عقيدتها وشريعتها ومطامحها وموقعها... فهي وسط في عقيدتها لأنها بعيدة عن الخرافة والجحود، فهي لا تفرط في التجرد الروحي إنما تتبع الفطرة التي فطر الله الناس عليها، وهي لا تفرط في حق للنفس ترتقي به حتى تعرف ربها ودينها، وهي أمة وسط في شريعتها لأنها نائية عن الواقعية الجامدة القلب والمثالية الذاهلة العقل فهي ليست جامدة بل مرنة تصلح لكل زمان ومكان، لا تغلق منافذ التجربة بل تجرب وتطور وكانت هي القائدة للعالم أجمع في شتى العلوم ومناحي الحياة: ﴿ سَنُرِيهِمْ ءَايَـٰتِنَا فِى ٱلْـَٔافَاقِ وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ ۗ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ ﴿٥٣﴾ ﴾[1] بل لا أكون متجاوزًا إذا قلت يشهد بذلك من غير المسلمين الكثير والكثير فها هي شهادة من أحد المنصفين في العالم على صلاحية الشريعة الإسلامية لكل زمان ومكان معترفًا في شهادته بفضل الشريعة الإسلامية وسبقها وتفوقها:

١- يقول الأستاذ «شيرل» عميد كلية الحقوق بجامعة (فينا) سنة ١٩٢٧:

إن البشرية لتفتخر بانتساب رجل كمحمدٍ ﷺ إليها إذ رغم أمّيته استطاع قبل بضعة عشر قرنًا أن يأتي بتشريع سنكون نحن الأوربيين أسعد ما نكون لو وصلنا إلى قمته بعد ألفي سنة»!..

---

(١) سورة فصلت آية: ٥٣.

٢- ويقول المؤرخ الفرنسي «سيديو»:

إن قانون نابليون منقول من كتاب فقهي في مذهب الإمام مالك هو شرح الدردير على متن خليل»!..

وهناك كثير من الشهادات الصادقة النابعة من رجال منصفين أعلنوا فيها بجلاء أن أمة الإسلام متجددة في تفكيرها مرنة تصلح لكل زمان ومكان، بل أخذ العالم بما قامت عليه الشريعة الإسلامية من ثوابت ومرتكزات فنهضوا من سبات عميق فتحول حالهم من العصور المظلمة وعصور التخلف وسيطرة الكنيسة إلى عصر التقَدم العلمي... والذرة... والإنترنت والفضاء... والفلك... وتبدل حالنا؟! فبعد أن كان المسلمون الأوائل يمسكون بدفة سفينة التاريخ... حينما تربوا في دار الأرقم بن أبي الأرقم على يد المربي الأول معلم البشرية وهادي الإنسانية ﷺ فتحولوا بالإسلام من أغلاظ حفاة جفاة رعاة للغنم إلى رعاة للأمم؛ ليخرجوا من شاء من عبادة العباد إلى عبادة رب العباد، ومن جور الأديان إلى عدالة الإسلام، ومن ضيق الدنيا إلى سعة الدنيا والآخرة... فبعد أن كنا كذلك أصبحنا نوصف بالرجعية والتخلف حتى صرنا في نظر العالم في ذيل الأمم وفي مؤخرة الركب!! وهي أمة وسط في مطامحها؛ لأنها بعيدة عن القناعة الذليلة والحرص والجشع...، والأمة الإسلامية أمة وسط في موقعها (مكة المكرمة.. بيت الله الحرام.. الكعبة المشرفة).

كل ذلك في قلب العالم تمامًا... إن هذا الوضع الجغرافي المتماسك القوي قد

اختص به الدين الإسلامي من بين سائر الأديان السماوية أتدرون ما الأواصر التي ربط الله بها هذه الأمة لتكون قوية متماسكة كالجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى؟! إنها وحدة العقيدة ووحدة الشريعة: إله واحد وكتاب واحد، وأراد الله أن يضم إليهما آصرة ثالثة حسية ملموسة فبعث مناديًا في الناس أن يجتمع هاهنا في قلب العالم الإسلامي وفود المسلمين من أقطار الأرض كل عام ليعبدوا هذا الإله الواحد بتلك الشريعة الواحد على أرض واحدة هي الأراضي المقدسة، وهكذا تجسدت وحدة العقيدة ووحد الشريعة في وحدة الوطن الأعلى. ذلك ليذكر المسلمون أنهم- وإن تفرقت أقطارهم واختلفت أنسابهم وألوانهم- تجمعهم جامعة الدين والله والوطن، وأنه إذا جد الجد وجب أن يضحي كل مسلم بمصالحه الخاصة في سبيل هذه المصلحة العامة المشتركة بين جميع المسلمين.

أمة بالوصف السابق جديرة بأن تكون أعظم أمة على الإطلاق، فما بالنا في تخلف وتقهقر تلاحقنا النكبات تلو النكبات أعتقد أن الرجوع إلى ريادة العالم وقيادته ليس صعبًا لكنه سهل بإذن الله! أتدرون كيف يكون هذا الأمر سهلًا؟... إذا عدنا إلى كتاب ربنا نستقي منه ما يهدينا في حياتنا، وما ينفعنا في آخرتنا..، وإذا عدنا إلى سنة حبيبنا نستلهم منها المنهج القويم الذي يأخذ بأيدينا إلى جنة ربنا... وإذا عدنا إلى إخواننا في ديننا نتقارب ونترابط حتى يعود لوطننا الحبيب مناعته وحصانته وكرامته المسلوبة، فلا يبقى فيه بعد ذلك عيش لأعدائنا الذين يمتصون دماءنا ليل نهار.

فليكن لنا من موسم الحج عبرة وعظة فالحج ليس انتقال من مكان إلى مكان أو زيارة المسجد الحرام أو وقوف ببعض الأمكنة فهو أسمى وأعظم قدرًا وقيمة عند الله، فهو عمل جليل مشكور... إنه جهاد في سبيل الله، وتضحية بالنفس والمال، وفراق للولد وللبلد، وإقامة على غير المعهود من ناحية العيش والسفر والانتقال، ونزول ببعض الأماكن وأداء للشعائر في أوقات محددة فيخرج بذلك الإنسان من إلف العادة إلى عظيم الأجر والثواب على العبادة بالنية الصالحة؛ قال سبحانه: ﴿ **وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ** ﴾[1]. والحبيب ﷺ يقول: «**إنما الأعمال بالنيات وإنما لكل امرئ ما نوى**»[2].

نعم إن الحج ليس رحلة ترفيهية ولا زيارة معهودة وإنما هو جهاد بالنفس والمال... جهاد بالنفس لأنها خرجت بعيدًا عن الأهل والولد ساعية في سبيل الله مجاهدة ابتغاء مرضاة الله، لم يعبأ صاحبها بما ألف من لين العيش ووثير الفراش ولكن خرج من مألوفها وحملها على غير مرغوبها فاندفعت ملبية مكبرة مهللة: «**لبيك اللهم لبيك... لبيك لا شريك لك لبيك... إن الحمد والنعمة لك والملك، لا شريك لك**».

هذا هو هتاف الحاج وهذا هو شعاره ونداؤه كلما هبط واديًا أو صعد جبلًا

(١) سورة البينة آية: ٥.

(٢) متفق عليه.

أو لقي مسلمًا حاجًّا...

إنها رحلة العمر... وغاية الأمل... وختام العمل، يقول المصطفى ﷺ: «**من حج فلم يرفث ولم يفسق خرج من ذنوبه كيوم ولدته أمه**»(1).

هناك في أرض الحجاز ترى النور ومنازل الوحي ومهابط الرحمات من أمين الوحي جبريل عليه السلام على حبيبنا صلوات الله وسلامه عليه... هناك تشاهد البيت الحرام أول بيت وضع للناس فهلل وكبر وتعلق بأستار الكعبة طالبًا من الله الرحمة والمغفرة فهنا تسكب العبرات وتتنزل الرحمات...

ترى الكعبة لأول مرة كأنك رأيت بيتك الأول ومنزلك المكرم وتطوف حولها مرات ومرات وأنت لا تشبع من النظر إليها وكلما طفت وقبَّلت الحجر الأسود تحب أن تزداد من ذلك في شوق وحب، وانبهار بمقدسات الإسلام أخي القارئ الكريم:

اليوم عمل ولا حساب، وغدًا حساب ولا عمل فخذ من حياتك لموتك، ومن غناك لفقرك، ومن صحتك لسقمك، ومن شبابك لهرمك، ومن فراغك لشغلك، ختامًا أسأل الله العظيم رب العرش الكريم أن يتقبل منا صالح الأعمال وأن يرزقنا حج بيته الحرام، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين... ولا تنساني من صالح دعائك.

بقلم

حاتم محمود منسي الشيمي

---

(1) متفق عليه.

الحج

من الأركان التي بني الإسلام عليها «الحج» وذلك لما جاء في الحديث الشريف: «**بني الإسلام على خمس شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة وحج البيت وصوم رمضان**»[1].

فما معنى الحج، وما فضله، وما حكمة مشروعيته، وما شروط وجوبه، وما المواقيت الزمانية والمكانية للحج، وما الإحرام وما آدابه وما أنواعه، وما التلبية وما حكمها وما لفظها وما فضلها، وما المواطن التي تستحب التلبية فيها؟

وما الذي يباح للمحرم، وما المحظور عليه فعله، وما حكم من فعل محظورًا من محظورات الإحرام؟.

وماذا تعرف عن الحرم المكي والمدني؟ وماذا يستحب عند دخول مكة والبيت الحرام؟.

وما الطواف وما كيفيته وما فضله وما أنواعه وما شروطه وما سننه وهل للشرب من ماء زمزم آداب؟، وما السعي وما دليل مشروعيته وما حكمه وما شروطه؟ وهل يجوز للحاج الخروج إلى منى قبل يوم التروية؟، ما معنى الوقوف بعرفة وما وقته وما آداب الوقوف بعرفة وما دعاء ذلك اليوم العظيم؟، وماذا

---

(١) رواه البخاري.

تعرف عن أعمال يوم النحر، ما حكمة رمي الجمرات وما حكم الرمي وما أيامه ومتى يبيت الحاج بمنى، ومتى يرجع؟.

وما الهدي وما الأفضل فيه وما أقل ما يجزئ فيه وما الدليل عليه ومتى يحلق الحاج ويقصر، وهل تقصر المرأة؟.

وماذا تعرف عن طواف الإفاضة وما وقته وما وقت طواف الوداع وما حكمه؟. وكيف تؤدى مناسك الحج؟ ثم بعد ذلك:

ما العمرة، ما حكمة مشروعيتها، هل يجوز تكرارها في العام الواحد، هل تجوز العمرة في أي وقت من السنة، وهل تجوز في أشهر الحج، وما حكمها؟. ثم ما آداب دخول مسجد النبي ﷺ وآداب زيارته ﷺ وما فضائل المدينة المنورة وما فضل مكة المكرمة؟.

وبعد فستجد أخي القارئ بإذن الله تعالى الإجابات عن هذه الأسئلة وغيرها مما تحب أن تعرفه عن الحج والعمرة، ثم ستجد أخي القارئ مع كل نسك من مناسك الحج أسراره الروحية الخاصة به وكذلك أسراره العلمية والإعجازية، وقد زودت الكتاب بجملة من الدعوات عند الحديث عن كل نسك من المناسك، وبعض الحكايات عن الصالحين، هذا وقد ختمت الكتاب بفصل هام جدًّا عن فقه المعاني والمقاصد والدلالات في الحج.

معنى الحج والعمرة:

للحج معنيان: معنى عند أهل اللغة العربية وهو القصد، ومعنى في

اصطلاح الشرع وهو: قصد البيت الحرام لأداء أفعال مخصوصة- كالطواف بالبيت، والسعي بين الصفا والمروة، والوقوف بعرفة- وذلك استجابة لأمر الله تعالى وطلبًا لرضوانه سبحانه.

أما العمرة فمعناها في اللغة: الزيارة، ومعناها في الشرع: زيارة الكعبة على وجه مخصوص مع الطواف بالبيت والسعي بين الصفا والمروة والحلق أو التقصير؛ قال الله تعالى: ﴿ وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلْبَيْتِ مَنِ ٱسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلاً ۚ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴿٩٧﴾ ﴾[1]، وقال تعالى: ﴿ وَأَتِمُّواْ ٱلْحَجَّ وَٱلْعُمْرَةَ لِلَّهِ ۚ ﴾[2].

حكمة مشروعية الحج:

شرع الحج حتى يتلقى المسلم عقيدة توحيد الله تعالى بطريق تطبيقي عملي مشاهد محسوس وذلك حتى يترسخ معنى التوحيد في النفوس، فدائمًا تميل النفس البشرية إلى المحسوسات ليتقوى الإدراك النقلي بمشاهدة المحسوس المعاين.. وهذا ما يلقيه الحج في النفوس.

---

(١) رواه البخاري.

(٢) رواه البخاري.

حكم الحج:

أجمع جمهور العلماء على أن الحج واجب فمن أنكر وجوبه فقد كفر وارتد عن الإسلام.

وإيجاب الحج كان سنة ست بعد الهجرة النبوية المباركة، وذلك على ما عليه جمهور العلماء؛ لأنه العام الذي نزل فيه قول الحق سبحانه: ﴿ **وَأَتِمُّواْ ٱلْحَجَّ وَٱلْعُمْرَةَ لِلَّهِ** ﴾.

فأنعم الله ﷻ على هذه الأمة بأن جعل الحج رهبانية لهم؛ فشرف البيت العتيق بالإضافة إلى نفسه تعالى ونصبه مقصدًا لعباده وجعل ما حواليه حرامًا لبيته تفخيمًا لأمره وجعل عرفات كالميزاب على فِناء حوضه وأكد حرمة الموضع بتحريم صيده وشجره، ووضعه على مثال حضرة الملوك يقصده الزوار من كل فج عميق شعثًا غبرًا متواضعين لرب البيت وخاضعين له مع الاعتراف بتنزيهه عن أن يحويه بيت أو يكتنفه بلد ليكون ذلك أبلغ في رقهم وعبوديتهم وأتم في إذعانهم وانقيادهم؛ ولذلك وظف عليهم فيها أعمالًا تأنس بها النفوس ولا تهتدي إلى معانيها العقول: كرمي الجمار والتردد بين الصفا والمروة على سبيل التكرار، وبمثل هذه الأعمال يظهر كمال الرق والعبودية؛ فإن الزكاة إرفاق ووجهه مفهوم وللعقل إليه ميل، والصوم كسر للشهوة التي هي آلة عدو الله وتفرغ للعبادة بالكف عن الشواغل والركوع والسجود في الصلاة تواضع لله ﷻ بأفعال هي هيئة التواضع وللنفوس أنس بتعظيم الله ﷻ؛ فأما ترددات

السعي ورمي الجمار وأمثال هذه الأعمال فلا حظَّ للنفوس ولا أنس للطبع فيها ولا اهتداء للعقل إلى معانيها فلا يكون في الإقدام عليها باعث إلا الأمر المجرد وقصد الامتثال للأمر من حيث إنه أمر واجب الاتباع فقط، وفيه عزل للعقل عن تصرف هو صرف النفس والطبع عن محل أنسه؛ فإن كل ما أدرك العقل معناه مال الطبع إليه ميلًا ما، فيكون ذلك الميل معينًا للأمر وباعثًا معه على الفعل فلا يكاد يظهر به كمال الرق والانقياد. ولذلك قال ﷺ في الحج على الخصوص «لبيك بحجة حقًّا تعبدًا ورقًّا» ولم يقل ذلك في صلاة ولا غيرها.

وإذا اقتضت حكمة الله سبحانه وتعالى ربط نجاة الخلق بأن تكون أعمالهم على خلاف هوى طباعهم وأن يكون زمامها بيد الشرع فيترددون في أعمالهم على سنن الانقياد وعلى مقتضى الاستبعاد، وكان ما لا يهتدى إلى معانيه أبلغ أنواع التعبدات في تزكية النفوس وصرفها عن مقتضى الطباع والأخلاق إلى مقتضى الاسترقاق. وإذا تفطنت لهذا فهمت أن تعجب النفوس من هذه الأفعال العجيبة مصدره الذهول عن أسرار التعبدات، وهذا القدر كاف في تفهم أصل الحج إن شاء الله تعالى.

ولكن هل الحج يتكرر وجوبه علينا كل عام؟

هذا ما يجيبنا عنه رسولنا الكريم صلوات الله وسلامه عليه في الحديث الذي رواه ابن عباس والذي يقول فيه.

خطبنا رسول الله ﷺ فقال: «**يَا أَيُّها النَّاسُ كُتِبَ عَلَيْكُم الحَجُّ**. فقام الأقرع بن

حابس فقال: أفي كل عام يا رسول الله؟ قال: **لَوْ قُلْتُها لَوَجَبَتْ، الحَجُّ مَرْةً، فما زَادَ فَهُوَ تَطَوُّعٌ**»[1]. وهذا الحديث مبين وموضح لقوله تعالى: ﴿ **وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلْبَيْتِ مَنِ ٱسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلاً ۚ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٩٧﴾** ﴾[2].

ولذلك فالحج لا يتكرر ولا يجب على المسلم في عمره إلا مرة واحدة، وما زاد فهو تطوع إلا في حالة ما إذا نذر الحج فيجب الوفاء بالنذر؛ لقوله ﷺ: «**مَنْ نَذَرَ أَنْ يُطِيعَ الله فَلْيُطِعْهُ**»[3].

هل يجب الحج على الفور أم على التراخي؟

وهنا يتبادر لنا سؤال آخر وهو: **هل يجب الحج على الفور أم على التراخي؟** بمعنى: أن المسلم الذي يستطيع أن يحج واستوفى شروط وجوب الحج هل يحج في ذلك العام الذي وجب الحج عليه فيه أم يجوز له تأخير الحج لأعوام قادمة؟

اختلف العلماء في ذلك: ففريق يرى أن الحج فرض على التراخي بشرط أن يحج المسلم قبل موته فإن مات ولم يحج فهو آثم، وعلى رأس هذا الفريق الإمام الشافعي ومحمد بن الحسن وغيرهما.

واستدل هذا الفريق بأن رسول الله ﷺ أَخَّر الحج إلى سنة عشر من الهجرة

(١) رواه أحمد وأبو داود والنسائي.

(٢) سورة آل عمران آية: ٩٧.

(٣) أخرجه البخاري.

وكان معه أزواجه وكثير من الصحابة رضوان الله عليهم، مع أن الحج كان إيجابه سنة ست- على ما عليه جمهور العلماء كما تقدم- فلو كان واجبًا على الفور لما أخره النبي صلوات الله وسلامه عليه.

والفريق الآخر قال بأن الحج واجب على الفور لمن كان مستطيعًا لأن المسلم إن استطاع وأخر الحج أثم بهذا التأخير، وعلى رأس القائلين بذلك الإمام أبو حنيفة ومالك وأحمد وغيرهم.

وأدلة هؤلاء: حديث ابن عباس رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال: «**من أراد الحج فليعجل فإنه قد يمرض المريض وتضل الراحلة وتكون الحاجة**»[1].

وعن ابن عباس أيضًا أن النبي ﷺ قال: «**تعجلوا الحج فإن أحدكم لا يدري ما يعرض له**»[2].

.. هذه الأحاديث وغيرها وإن كانت ضعيفة ولكن لكثرتها يقوي بعضها بعضًا عند أصحاب هذا الرأي.

.. والأحوط التعجيل لأن الاحتياط في أداء الفرائض واجب؛ فيجب الحج على الفور احتياطًا.

---

(١) رواه أحمد والبيهقي وابن ماجه.

(٢) أخرجه الديلمي.

حكم العمرة:

فقد أجمع العلماء على أنها مشروعة، ولكن اختلفوا في حكمها فالحنفية والمالكية يرون أن العمرة سنة مؤكدة مرة واحدة في العمر على الأقل.

وأما الإمام الشافعي والإمام أحمد فهي عندهما فرض على من فرض عليه الحج.

واستدل الأولون بحديث جابر ﷺ أن النبي ﷺ سئل عن العمرة: أواجبة هي؟ قال: «لا».

واستدل الآخرون بقوله تعالى: ﴿وَأَتِمُّوا الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ لِلَّهِ﴾[1] وقد عطفت على الحج وهو فرض، فهي فرض كذلك.

هذا وقد رجح العلماء الرأي الأول أي أنها سنة مؤكدة.

عدد عمره ﷺ وحجاته:

اعتمر النبي عليه الصلاة والسلام أربع عمر: عمرة الحديبية، وعمرة القضاء، والثالثة من الجعرانة، والرابعة مع حجته، ولم يحج إلا حجة واحدة هي حجة الوداع في العام الذي توفي فيه، وكان يقول في وصاياه: «**خذوا عني**

(١) سورة البقرة آية: ١٩٦.

مناسككم لعلي لا ألقاكم بعد عامي هذا»[1].

فضل الحج والعمرة:

جاء في فضل الحج والعمرة آيات وأحاديث كثيرة منها:

١- في الحج منافع للناس:

قال تعالى: ﴿ وَأَذِّن فِي ٱلنَّاسِ بِٱلْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِن كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ ﴿٢٧﴾ ﴾[2].

قال قتادة في ذلك: لما أمر الله ﷻ إبراهيم عليه وعلى نبينا أفضل الصلاة وأتم التسليم أن يؤذن في الناس بالحج نادى: «**يا أيها الناس إن الله ﷻ بنى بيتًا فحجوه**» لأن في الحج منافع للناس؛ قال تعالى: ﴿ لِّيَشْهَدُوا۟ مَنَـٰفِعَ لَهُمْ ﴾[3]. قيل: التجارة في موسم الحج والأجر في الآخرة، ولما سمع بعض السلف هذا قال: غفر لهم ورب الكعبة.

٢- في الحج غفران الذنوب:

قال ﷺ: «**من حج البيت فلم يرفث ولم يفسق خرج من ذنوبه كيوم ولدته**

---

(١) أخرجه مسلم.

(٢) سورة الحج آية: ٢٧.

(٣) سورة الحج آية: ٢٨.

أمه»[1]- وعن عمرو بن العاص قال: لما جعل الله الإسلام في قلبي أتيت رسول الله ﷺ فقلت: ابسط يدك فلأُبايعك. قال: فبسط. فقبضت يدي فقال: «**مالك يا عمرو**؟ قلت أشترط، قال: **تشترط ماذا**؟ قلت: أن يغفر لي؟ قال: **أما علمت أن الإسلام يهدم ما قبله وأن الهجرة تهدم ما قبلها وأن الحج يهدم ما قبله**»[2].

٣- الحج المبرور جزاؤه الجنة:

عن أبي هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: «**العمرة إلى العمرة كفارة لما بينهما، والحج المبرور ليس له جزاء إلا الجنة**»[3].

٤- الحج جهاد... لكن بدون قتال:

وعن عائشة رضي الله عنها قالت: «قلت يا رسول الله ألا نغزو ونجاهد معكم؟ قال: **لكُنَّ أحسن الجهاد وأجمله: الحج**».

وفي رواية البخاري ومسلم: «لكُنَّ أفضل الجهاد حج مبرور»[4].

٥- الحج من أفضل الأعمال:

عن أبي هريرة قال: سئل رسول الله ﷺ أي الأعمال أفضل؟ قال: **إيمان بالله**

---

(١) سبق تخريجه.

(٢) رواه مسلم.

(٣) رواه البخاري ومسلم.

(٤) متفق عليه.

ورسوله. قيل: ثم ماذا؟ قال: **ثم جهاد في سبيل الله** قيل: ثم ماذا؟ قال: حج مبرور» أي لا يختلط به إثم أو معصية.

فهذه الأحاديث السابقة تدل على أن الحج- وكذلك العمرة- من أفضل الأعمال وأنه جهاد وإنه يمحو الذنوب، وفيه منافع للناس.

٦- الحجاج وفد الله:

فعن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: «**الحجاج والعمار وفد الله، إن دعوه أجابهم، وإن استغفروه غفر لهم**»(١).

٧- النفقة فيه كالنفقة في سبيل الله سواء بسواء:

روي عن بريدة قال: قال رسول الله ﷺ: «**النفقة في الحج كالنفقة في سبيل الله: الدرهم بسبعمائة ضعف**»(٢).

قال الإمام أبو حامد الغزالي:

قال الحسن: من مات عقيب رمضان أو عقيب غزو أو عقيب حج مات شهيدًا... ثم قال: وقد كان من سنة السلف رضي الله عنهم أن يشيِّعوا الغزاة وأن يستقبلوا الحجاج ويقبلوا بين أعينهم ويسألوهم الدعاء ويبادرون ذلك قبل أن يتدنسوا بالآثام.

---

(١) رواه النسائي وابن ماجه وابن حبان.

(٢) رواه أحمد والطبراني والبيهقي

ويروى عن علي بن موفق قال: حججت سنة فلما كان ليلة عرفة نمت بمنى في مسجد الخيف، فرأيت في المنام كأن ملكين قد نزلا من السماء عليهما ثياب خضر، فنادى أحدهما صاحبه: يا عبدالله فقال الآخر: لبيك يا عبدالله، قال: أتدري كم حج بيت ربنا ﷻ في هذه السنة قال: لا أدري. قال: حج بيت ربنا ستمائة ألف. أفتدري كم قبل منهم؟ قال: لا. قال ستة أنفس قال: ثم ارتفعا في الهواء فغابا عني، فانتبهت فزعًا واغتممت غمًّا شديدًا وأهمني أمري، فقلت: إذا قبل حج ستة أنفس فأين أكون أنا في ستة أنفس؟ فلما أفضت من عرفة قمت عند المشعر الحرام فجعلت أفكر في كثرة الخلق وفي قلة من قبل منهم، فحملني النوم فنمت فإذا الشخصان قد نزلا على هيئتها فنادى أحدهما صاحبه وأعاد الكلام بعينه ثم قال: أتدري ماذا حكم ربنا ﷻ في هذه الليلة؟ قال: لا. قال: فإنه وهب لكل واحد من الستة مائة ألف قال: فانتبهت وبي من السرور ما يجلُّ عن الوصف.

فانظر رحمك الله إلى واسع فضل الله ورحمته كيف قَبِلَ كل الحجيج من أجل رضاه سبحانه عن قليل منهم! فاللهم عاملنا بالفضل لا بالعدل!...

وذكر الأستاذ الدكتور زغلول النجار مقالًا جاء فيه:

ومن تفضيل الأماكن فضل ربنا- تبارك وتعالى- مكة المكرمة وحرمها الشريف على جميع بقاع الأرض، ومن بعدها فضل مدينة رسول الله ﷺ ومن بعدها فضل بيت المقدس، كما جاء في العديد من أحاديث رسول الله صلوات الله وسلامه عليه، فإذا

اجتمع فضل المكان، وفضل الزمان تضاعفت البركات والأجور إن شاء الله تعالى.

- فمن حكم فريضة الحج بالإضافة إلى كونها طاعة للأمر الإلهي ما يلي:

١- تعريض كل مسلم بالغ عاقل حر مستطيع ذكرًا كان أو أنثى ولو لمرة واحدة في العمر لبركة أشرف بقاع الأرض. الحرم المكي الشريف- في بركة أشرف أيام السنة- الأيام العشرة الأولى من ذي الحجة؛ ولذلك قال الله تعالى: ﴿ وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلْبَيْتِ مَنِ ٱسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا ۚ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِىٌّ عَنِ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٩٧﴾ ﴾[1].

٢- تذكير الحاج بمرحلية الحياة، وبحتمية الرجوع إلى الله تعالى.

فعلى الرغم من حقيقة الموت الذي كتبه الله تعالى على جميع خلقه والذي يشهده أو يسمع به كل حي في كل لحظة وعلى الرغم من إيماننا- نحن معشر المسلمين- بحتمية البعث والحساب والجزاء ثم الخلود في الحياة القادمة إما في الجنة أبدًا أو في النار أبدًا، وهي من الأصول الإسلامية التي أكدها القرآن الكريم وروتها أحاديث خاتم الأنبياء والمرسلين ﷺ إلا أن دوامة الحياة ومشاغلها تكاد تنسي الناس هذه الحقائق التي هي من صلب الدين، وعلى الرغم من أن الموت ليس انتهاء إلى العدم المحض والفناء التام. إلا أن الموت يبقى مصيبة كما سماه القرآن الكريم ويبقى الأخطر من مصيبة الموت غفلة الناس عنه وانصرافهم عن العمل له وانشغالهم بالدنيا حتى أنستهم إياه أو كادت... وهنا تأتي شعيرة الحج لتخرج الناس من دوامة الحياة ولو لفترة قصيرة وتذكرهم

---

(١) سورة آل عمران آية: ٩٧.

بحتمية العودة إلى الله تعالى.

ثم قال فضيلته:

وفي تحرك جموع الحجاج من كل عرق ولون وجنس ولغة في موكب واحد لأداء هذه الفريضة الكبرى تأكيد لوحدة الجنس البشري المنشق من أب واحد وأم واحدة هما آدم وحواء عليهما السلام وتأكيد كذلك على وحدة رسالة السماء وهي: الإسلام العظيم، وعلى الأخوة بين الأنبياء وعلى وحدانية رب السموات والأرض.

والحج يمثل أول صورة من صور المؤتمرات الدولية قبل أن تعرفها المنظمات العالمية.

* * *

شروط وجوب الحج

اتفق الفقهاء على أن الذي يجب عليه الحج هو: المسلم العاقل البالغ الحر العالم بالفريضة المستطيع فمن لم تتوفر فيه هذه الشروط فليس عليه حج.

فلا حج على الكافر أو المجنون أو الصبي لقول النبي ﷺ في الحديث: «**رفع القلم عن ثلاث: عن النائم حتى يستيقظ، وعن الصبي حتى يشب، وعن المعتوه حتى يعقل**»[1] وكذلك لا يجب الحج على العبد، فإذا حج الصبي قبل التمييز والإدراك صح حجه ولكن لا يجزئه عن حجة الإسلام، وعليه أن يحج حجة أخرى عند البلوغ، وكذلك العبد إذا حج ثم أعتق صح حجه، ولكن لا يجزئه عن حجة الإسلام؛ لما رواه ابن عباس رضي الله عنهما قال النبي ﷺ: «**أيما صبي حج ثم بلغ الحِنث**[2] **فعليه أن يحج حجة أخرى، وأيما عبد حج ثم أعتق، فعليه أن يحج حجة أخرى**»[3].

- فوائد:

١- الكافر غير مطالب بفروع الشريعة الإسلامية عند جميع العلماء إلا الإمام مالك لذا فلا حج عليه فإن حج لا يصح حجه فإن أسلم لا يسقط الحج عنه،

---

(١) أخرجه أبو داود والنسائي.

(٢) الحنث: أي إذا أذنب كُتِبَ ذنبه.

(٣) رواه الطبراني.

وعليه بعد إسلامه حجة الإسلام.

٢- **من ارتد عن الإسلام** ثم عاد إليه وكان قد حج قبل الردة يجب عليه إعادة الحج (عند الحنفية والمالكية) ولا يجب عليه ذلك عند (الشافعية).

٣- **من جهل فرضية الحج** بأن أسلم حديثًا أو كان في دار الحرب أو عاش في منطقة معزولة عن البيئة الإسلامية- في بادية مثلًا- ولم يعلم بأن الحج مفروض على المسلمين فالحج غير واجب عليه حتى يعلم بوجوبه.

٤- **الصبي المميز** يستأذن وليه ويحرم بنفسه ويؤدي مناسك الحج بنفسه، والصبي غير المميز يحرم عنه وليه (أبوه أوجده أو أمه عند فقدهما أو الوصي الذي يعينه الحاكم عند فقد الجميع) ويلبي عنه فيقول: لبيك اللهم عن فلان لبيك، ويطوف به ويسعى طوافًا وسعيًا مستقلين غير طواف وسعي نفسه ثم يأخذه إلى عرفات والمزدلفة ومنى، ويرمي الجمرات عنه بعد أن يرمي لنفسه.

- أما شرط الاستطاعة:

فلكي يتحقق هذا الشرط لابد أن يكون المستطيع قادرًا على أداء مناسك الحج بأن يكون خاليًا من الأمراض المزمنة (كالشلل أو العمى أو كونه مقطوع اليدين أو الرجلين مثلًا). فإن كان به أحد هذه الأمراض فيجب عليه إحجاج غيره عنه إن كان له مال.

كذلك **لابد أن يكون المستطيع مالكًا للمال** الذي يكفيه أثناء رحلة الحج ويكفي من يعولهم؛ فيعد نفقته من مال حلال طيب؛ لأن الله طيب لا يقبل إلا

طيبًا، ولما روي أن النبي ﷺ قال: «**إذا خرج الحاج حاجًّا بنفقة طيبة ووضع رجله في الغرز فنادى لبيك اللهم لبيك ناداه منادٍ من السماء: لبيك وسعديك زادك حلال، وراحلتك حلال وحجك مبرور غير مأزور، وإذا خرج بالنفقة الخبيثة فوضع رجله في الغرز فنادى: لبيك ناداه منادٍ من السماء: لا لبيك ولا سعديك، زادك حرام ونفقتك حرام وحجك مأزور غير مأجور**»[1] فيجب أن يتحرى الحلال في كل أمور حياته.

- كذلك يجب أن يجد المستطيع الراحلة التي توصله إلى مكان الحج سواء كانت ملكه أو مستأجرة (كالدابة أو السيارة أو الباخرة أو الطائرة...).

كذلك لابد أن يطهر نفسه ويخلص نيته لله تعالى، ويرد المظالم إلى أهلها، ويبر والديه، ويصل رحمه، ويتقي الله ﷻ حتى يكون بإذن الله من الذين تقبل الله حجتهم فهو القائل: ﴿ **وَمَا تَفْعَلُواْ مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمْهُ ٱللَّهُ ۗ وَتَزَوَّدُواْ فَإِنَّ خَيْرَ ٱلزَّادِ ٱلتَّقْوَىٰ ۚ وَٱتَّقُونِ يَٰٓأُوْلِي ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿١٩٧﴾** ﴾[2].

والدليل على اشتراط الزاد (النفقة أو المال) والراحلة على المستطيع ما روي عن علي رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «**من ملك زادًا وراحلة تبلغه إلى بيت الله ولم يحج فلا عليه أن يموت يهوديًّا وإن شاء نصرانيًّا، وذلك أن الله تعالى يقول:** ﴿

---

(١) رواه البزار.

(٢) سورة البقرة آية: ١٩٧.

وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلْبَيْتِ مَنِ ٱسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلاً ﴾[1]»[2].

- كذلك أن يكون المستطيع آمنًا على نفسه وماله في طريقه إلى أداء النسك وألا يكون هناك مانع حسي من الحج كالحبس أو معنوي كالخوف من سلطان جائر مثلًا.

يقول الإمام الغزالي:

وأما الزاد: فليطلبه من موضع حلال، وإذا أحس من نفسه الحرص على استكثاره وطلب ما يبقى منه على طول السفر فليتذكر أن سفر الآخرة أطول من هذا السفر ولا يتغير ولا يفسد قبل بلوغ المقصد وأن زاده التقوى وأن ما عداه مما يظن أنه زاده يتخلف عنه عند الموت ويخونه فلا يبقى معه كالطعام الرطب الذي يفسد في أول منازل السفر فيبقى وقت الحاجة متحيرًا محتاجًا لا حيلة له. فليحذر أن تكون أعماله التي هي زاده إلى الآخرة لا تصحبه بعد الموت بل يفسدها شوائب الرياء وكدورات التقصير.

وأما الراحلة: إذا أحضرها فليشكر الله تعالى بقلبه على تسخير الله ﷻ له الدواب لتحمل عنه الأذى وتخفف عنه المشقة، ليتذكر عنده المركب الذي يركبه إلى دار الآخرة وهي الجنازة التي يحمل عليها فإن أمر الحج من وجه يوازي أمر

(١) سورة آل عمران آية: ٩٧.

(٢) أخرجه الترمذي.

السفر إلى الآخرة ولينظر أيصلح سفره على هذا المركب لأن يكون زادًا له لذلك السفر على ذلك المركب فما أقرب ذلك منه وما يدريه لعل الموت قريب ويكون ركوبه للجنازة قبل ركوبه للجمل وركوب الجنازة مقطوع به وتيسر أسباب السفر مشكوك فيه فكيف يحتاط في أسباب السفر المشكوك فيه ويستظهر في زاده وراحلته ويهمل أمر السفر المستيقن؟!.

وأما شراء ثوبي الإحرام: فليتذكر عنده الكفن فإنه سيرتدي ويتزر بثوبي الإحرام عند القرب من بيت الله ﷻ وربما لا يتم سفره إليه وأنه سيلقى الله ﷻ ملفوفًا في ثياب الكفن لا محالة فكما لا يلقى بيت الله ﷻ إلا مخالفًا عادته في الزي والهيئة فلا يلقى الله ﷻ بعد الموت إلا في زي مخالف لزي الدنيا، وهذا الثوب قريب من ذلك الثوب إذ ليس فيه مخيط كما في الكفن.

شروط حج المرأة:

تناولت فيما سبق شروط وجوب الحج (على الرجل والمرأة) ويضاف إلى تلك الشروط شرط أخير خاص بالنساء وهو: وجود المحرم (زوج أو أب أو ابن أو أخ أو ابن أخ... إلخ).

وضابط المحرم: كل من حرم عليه نكاحها على التأبيد بسبب مباح لحرمتها؛ وذلك لما روي عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول:

«**لا يخلون رجل بامرأة إلا ومعها ذو محرم، ولا تسافر المرأة إلا مع ذي محرم**»[1] فقام رجل فقال: يا رسول الله إن امرأتي خرجت حاجة وإني اكتتبت في غزوة كذا وكذا فقال: «**انطلق فحُج مع امرأتك**».

ماذا تفعل المرأة التي تريد الحج؟

من المستحب للمرأة التي نوت الحج وأعدت نفسها لذلك أن تستأذن زوجها في أن تخرج إلى الحج المفروض، فإن أذن خرجت وإن لم يأذن خرجت أيضًا؛ حيث إن الحج فريضة عليها ويجب أن تطيع في ذلك خالقها، فلا طاعة لمخلوق في معصية الخالق.

- فوائد:

١- إذا لم تجد المرأة محرمًا لها وأرادت أن تحج ووجدت رفقة من النسوة الثقات خرجت معهن ويصح حجها.

وهذا هو مشهور مذهب الشافعية.

٢- المرأة العجوز يجوز لها السفر من غير محرم، نقل ذلك عن جماعة من الأئمة؛ لما رواه البخاري عن عدي بن حاتم قال: بينا أنا عند رسول الله ﷺ إذ أتاه رجل فشكا إليه الفاقة، ثم أتاه آخر فشكا إليه قطع السبيل فقال: «**يا عدي**

(١) أخرجه الطبراني.

هل رأيت الحيرة؟»[1] قال: قلت: لم أرها وقد أنبئت عنها. **قال: «فإن طالت بك حياة لترين الظعينة**[2] **ترتحل من الحيرة حتى تطوف بالكعبة لا تخاف إلا الله»**[3].

وسبق أن أشرت إلى أنه يستحب للمرأة أن تستأذن زوجها في الخروج إلى الحج فإن أذن لها خرجت وإن لم يأذن لها خرجت أيضًا... هذا في حج الفريضة أما حج التطوع والنافلة فللزوج منعها منه، لما روي عن ابن عمر رضي الله عنهما عن رسول الله ﷺ في امرأة كان لها زوج ولها مال فلا يأذن لها في الحج- قال: **«ليس لها أن تنطلق إلا بإذن زوجها»**[4].

المرأة- سواء كانت عجوزًا أو شابة- التي ليس لها زوج، ولم تجد محرمًا ولا رفقة من النساء الثقات ولم تأمن على نفسها لا يحل لها الخروج للحج الواجب؛ لأن الحج حينئذ غير واجب عليها حيث إن الآية تقول: ﴿ **مَنِ ٱسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلاً** ﴾[5] وهي غير مستطيعة في هذه الحالة.

---

(١) والحيرة: قرية قريبة من الكوفة.

(٢) الظعينة: أي المرأة.

(٣) أخرجه الطبراني.

(٤) أخرجه الطبراني.

(٥) سورة آل عمران آية: ٩٧.

حج المرأة المعتدة:

- إذا كانت المرأة معتدة عدة وفاة فلا يجوز أن تخرج للحج. (عند الإمام أحمد، ووجه لأصحاب الشافعي) وذلك لقوله تعالى: ﴿ **وَٱلَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَٰجًا يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا فَعَلْنَ فِيٓ أَنفُسِهِنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ** ﴾[1] فهي مأمورة بملازمة بيتها.

- وإذا كانت معتدة من طلاق رجعي فهي حينئذ تأخذ حكم المرأة المتزوجة فتستأذن زوجها.

- وإذا كانت معتدة من طلاق بائن فليس لأحد منعها من الحج.

* ملحوظة: اكتفيت بالرأي السابق لكونه أيسر المذاهب ومن أراد استزادة حول حج المرأة المعتدة فعليه بكتب الفقه.

من نذر أن يحج ثم مات:

إذا مات من عليه الحج (حجة الإسلام أو حجة منذورة) حج عنه وليُّه؛ لما روي عن ابن عباس رضي الله عنهما أن امرأة من جهينة جاءت إلى النبي ﷺ

(١) سورة البقرة آية: ٢٣٤.

فقالت: إن أمي نذرت أن تحج ولم تحج حتى ماتت أفأحج عنها؟ قال: «**نعم حجي عنها أرأيت لو كان على أمك دين أكنت قاضيته؟ اقضوا الله، فالله أحق بالوفاء**»[1].

من كان مستطيعًا للحج ثم عجز عنه:

من عجز عن الحج (لمرض مزمن مثلًا، أو كبر سن) وكان قبل ذلك مستطيعًا للحج يجب أن يوكل غيره في الحج عنه لعجزه؛ لما روي أن امرأة من خثعم قالت: يا رسول الله إن فريضة الله على عباده في الحج أدركت أبي شيخًا كبيرًا لا يستطيع أن يثبت على الراحلة أفأحج عنه؟ «**قال: نعم**»[2].

هذا ما عليه جميع الفقهاء وأهل العلم عدا الإمام مالك حيث إنه قيد توكيل الغير في الحج عن العاجز أو كبير السن مثلًا بالوصية فقال: إذا أوصى أن يحج عنه حُجَّ عنه.

- فوائد:

١- لا يحج الشخص عن غيره إلا إذا كان قد سبق له الحج عن نفسه؛ وذلك لما رواه ابن عباس رضي الله عنهما: أن رسول الله ﷺ سمع رجلًا يقول: لبيك عن شُبْرُمَة، فقال: «**أحججت عن نفسك**» قال: لا. قال: «**فحج عن نفسك ثم**

---

(١) أخرجه البخاري.

(٢) أخرجه الترمذي.

حج عن شبرمة»[1].

٢- من حج لنذر أو أحرم بحج تطوعًا وهو لم يحج حجة الإسلام.

- قال ابن عباس وعكرمة: حجة واحدة تكفي عن النذر وحجة الإسلام.

- قال ابن عمر وأنس والشافعي وأحمد: حجه يقع عن حجة الإسلام.

- وقال مالك والثوري وأبو حنيفة وإسحاق وابن المنذر: يقع ما نواه: فإن نوى تطوعًا وقع تطوعًا، وإن نوى نذرًا وقع نذرًا وإن نوى عن حجة الإسلام فهو كذلك.

٣- الذي عليه عامة أهل العلم أن المرأة تحج عن المرأة والرجل، وكذلك الرجل يحج عن المرأة والرجل والدليل على ذلك أمر النبي للمرأة- في حديث المرأة الخثعمية السابق- أن تحج عن أبيها بشرط الحج عن النفس أولًا.

٤- من لم يجد مالًا للحج هل يقترض؟

سئل النبي ﷺ عن الرجل لم يحج أَوَيستقرض للحج؟ قال: «**لا**».

٥- الحج من مال حرام: أكثر أهل العلم على أنه يجزئ مع الإثم، وقال الإمام أحمد: لا يجزئ، ولعل ذلك هو الصحيح لما روي في الحديث الصحيح: «**إن الله طيب لا يقبل إلا طيبًا**»[2] وكذلك الحديث السابق «**إذا خرج الحاج حاجًّا بنفقة طيبة.. إلخ**».

---

(١) أخرجه أبو داود وابن ماجه.

(٢) أخرجه مسلم.

هل للحاج أن يعمل ويتكسب أثناء حجه؟

للحاج أن يتاجر ويتكسب وهو يؤدي أعمال الحج والعمرة؛ وذلك لقول ابن عباس:

إن الناس في أول الحج كانوا يتبايعون بمنى وعرفة، وسوق ذي المجاز ومواسم الحج فخافوا البيع وهم حرم، فأنزل الله تعالى: ﴿لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَبْتَغُواْ فَضْلاً مِّن رَّبِّكُمْ﴾[1] أي في مواسم الحج[2].

وعن أبي أمامة التيمي أنه قال لابن عمر: إني رجل أكري (أي أؤجر الدواب) في هذا الوجه وإن ناسًا يقولون لي: إنه ليس لك حج، فقال ابن عمر: أليس تحرم وتلبي وتطوف بالبيت وتفيض من عرفات وترمي الجمار؟ قال: قلت: بلى قال: فإن لك حجًّا، جاء رجل إلى النبي ﷺ فسأله عن مثل ما سألتني فسكت عنه حتى نزلت هذه الآية: ﴿لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَبْتَغُواْ فَضْلاً مِّن رَّبِّكُمْ﴾[3] فأرسل إليه وقرأ عليه هذه الآية وقال: «**لك حج**».

- فلا مانع أن يعمل الحاج أثناء حجه طالما لا ينشغل عن أداء مناسك الحج أو العمرة.

---

(١) سورة البقرة آية: ١٩٨.

(٢) رواه البخاري ومسلم.

(٣) سورة البقرة آية: ١٩٨.

كيف حج رسولنا صلوات الله وسلامه عليه؟

وقبل أن نوضح أركان الحج نسوق لك أيها القارئ العزيز كيفية حجه ﷺ كما رواها لنا الصحابي الجليل جابر بن عبدالله.

عن جابر بن عبدالله ﷺ قال: «إن رسول الله ﷺ مكث تسع سنين لم يحج ثم أذن في الناس في العاشرة أن رسول الله ﷺ حاج فقدم المدينة بشر كثير يلتمس أن يأتم برسول الله ﷺ ويعمل مثل عمله، فخرجنا معه حتى أتينا ذا الحُليفة، فولدت أسماء بنت عميس محمد بن أبي بكر، فأرسلت إلى رسول الله ﷺ كيف أصنع؟ قال: «**اغتسلي واستثفري**[1] **بثوب وأحرمي**»، فصلى رسول الله ﷺ في المسجد ثم ركب «القصواء»- ناقته- حتى إذا استوت به ناقته على البيداء نظرت إلى مدى بصري بين يديه من راكب وماشٍ وعن يمينه مثل ذلك وعن يساره مثل ذلك ومن خلفه مثل ذلك ورسول الله ﷺ بين أظهرنا وعليه ينزل القرآن وهو يعرف تأويله، وما عمل من شيء عملنا به، فأهلَّ[2] بالتوحيد «**لبيك اللهم لبيك، لبيك لا شريك لك لبيك، إن الحمد والنعمة لك والملك، لا شريك**

---

(١) واستثفري: أي تشد في وسطها شيئًا وتجعل على محل الدم خرقة وتشد طرفيها من قدامها ومن ورائها.

(٢) أهلَّ: أي رفع صوته بالتلبية.

لك»[1] وأهلَّ الناس بهذا الذي يهلون به فلم يرد رسول الله ﷺ عليهم شيئًا منه ولزم رسول الله ﷺ تلبيته.

قال جابر ﷺ:

لسنا ننوي إلا الحج، لسنا نعرف العمرة، حتى إذا أتينا البيت معه استلم الركن فَرَمَلَ ثلاثًا، ومشى أربعًا ثم نفذ إلى مقام إبراهيم عليه السلام فقرأ ﴿ **وَٱتَّخِذُواْ مِن مَّقَامِ إِبْرَٰهِـۧمَ مُصَلًّى** ﴾[2] فجعل المقام بينه وبين البيت فكان يقرأ في الركعتين ﴿ **قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١** ﴾[3] و﴿ **قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْكَٰفِرُونَ ۝١** ﴾[4].

ثم رجع إلى الركن فاستلمه ثم خرج من الباب إلى الصفا.

فلما دنا من الصفا قرأ ﴿ **إِنَّ ٱلصَّفَا وَٱلْمَرْوَةَ مِن شَعَآئِرِ ٱللَّهِ** ﴾[5] «**أبدأ بما بدأ الله به**» فبدأ بالصفا فَرَقِيَ عليه حتى رأى البيت واستقبل القبلة فوحد الله وكبره، وقال: «**لا إله إلا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير، لا إله إلا الله وحده، أنجز وعده ونصر عبده، وهزم الأحزاب وحده**». ثم

---

(١) رواه مسلم.

(٢) سورة البقرة آية: ١٢٥.

(٣) سورة الإخلاص آية: ١

(٤) سورة الكافرون آية: ١.

(٥) سورة البقرة آية: ١٥٨.

دعا بين ذلك، قال مثل هذا ثلاث مرات، ثم نزل إلى المروة حتى إذا انصبت قدماه في بطن الوادي سعى[1] حتى إذا صعدنا مشى، حتى أتى المروة ففعل على المروة كما فعل على الصفا، حتى إذا كان آخر طوافه على المروة فقال: **لو أني استقبلت من أمري ما استدبرت لم أسق الهدي ولجعلتها عمرة، فمن كان منكم ليس معه هدي فليحل، وليجعلها عمرة**». فقام سراقة بن مالك بن جُعْشم فقال يا رسول الله ألعامنا هذا أم لأبدٍ؟ فشبك رسول الله ﷺ أصابعه، واحدة في الأخرى وقال: «**دخلت العمرة في الحج مرتين لا بل لأبدٍ أبدٍ**».

وقدم عليٌّ من اليمن ببُدْن النبي ﷺ، فوجد فاطمة رضي الله عنها ممن حل... ولبست ثيابًا صبيغًا واكتحلت، فأنكر ذلك عليها، فقالت: إن أبي أمرني بهذا، قال: فكان عليٌّ يقول بالعراق، فذهبت إلى رسول الله ﷺ محرشًا على فاطمة[2] للذي صنعت، مستفتيًا لرسول الله ﷺ فيما ذكرت عنه، فأخبرته أني أنكرت ذلك عليها فقال: **صدقَتْ صدقَتْ، ماذا قلت حين فرضت الحج؟** قال: **قلت: اللهم إني أهلُّ بما أهلَّ به رسولك ﷺ** قال: «**فإن معي الهدي فلا تحل**».

قال: فكان جماعة الهدي الذي قدم به عليٌّ من اليمن، والذي أتى به ﷺ «مائة» قال: فحلَّ الناس كلهم وقصروا إلا النبي ﷺ ومن كان معه هدي، فلما كان يوم

---

(١) سعى: أي أسرع في مشيه.

(٢) محرشًا على فاطمة: أي يسلط النبي عليها ليعاتبها.

التروية توجهوا إلى منى فأهلوا بالحج، وركب رسول الله ﷺ فصلى بها الظهر والعصر والمغرب والعشاء والفجر ثم مكث قليلًا حتى طلعت الشمس، وأمر بقبة من شعر تضرب له بنمرة، فسار رسول الله ﷺ ولا تشك قريش إلا أنه واقف عند المشعر الحرام كما كانت قريش تصنع في الجاهلية فأجاز رسول الله ﷺ عرفة فوجد القبة قد ضربت له بنمرة فنزل بها حتى إذا زاغت الشمس أمر بالقصواء فرُحِلت له[1] فأتى بطن الوادي[2] فخطب الناس قال: «**إن دماءكم وأموالكم حرام عليكم كحرمة يومكم هذا في شهركم هذا في بلدكم هذا، ألا كل شيء من أمر الجاهلية تحت قدمي موضوع[3] ودماء الجاهلية موضوعة وإن أول دمائنا دم أضع من دم ابن ربيعة بن الحارث، كان مسترضعًا في بني سعد فقتلته هذيل، وربا الجاهلية موضوع وأول ربًا أضع ربانا ربا العباس بن عبدالمطلب فإنه موضوع كله، فاتقوا الله في النساء فإنكم أخذتموهن بأمان الله واستحللتم فروجَهُنَّ بكلمة الله ولكم عليهن ألا يوطئن فرشكم ولهن عليكم رزقهن وكسوتهن بالمعروف، وقد تركت فيكم ما لن تضلوا بعده إن اعتصمتم به كتاب الله، وأنتم تسألون عني فما أنتم قائلون؟** قالوا: نشهد أنك قد بلغت

---

(١) فرُحِلت له: أي جعل عليها الرحل.

(٢) بطن الوادي: أي وادي عرفة.

(٣) موضوع: أي باطل.

وأديت ونصحت، فقال بإصبعه السبابة يرفعها إلى السماء وينكتها إلى الناس[١] «**اللهم فاشهد**» ثلاث مرات، ثم أذن ثم أقام فصلى الظهر، ثم أقام فصلى العصر ولم يصل بينهما شيئًا، ثم ركب رسول الله ﷺ حتى أتى الموقف فجعل بطن ناقته القصواء إلى الصخرات وجعل حبل المشاة[٢] بين يديه واستقبل القبلة، فلم يزل واقفًا حتى غربت الشمس وذهبت الصفرة قليلًا حتى غاب القرص، وأردف أسامة خلفه، ودفع رسول الله ﷺ وقد شَنَق للقصواء الزمام[٣] حتى إن رأسها ليصيب مورك رَحْله[٤] ويقول بيده اليمنى[٥] **أيها الناس: السكينة السكينة،** كلما أتى جبلًا من الجبال أرخى لها قليلًا حتى تصعد، حتى أتى المزدلفة فصلى بها المغرب والعشاء بأذان واحد وإقامتين **ولم يسبّح بينهما شيئًا**[٦]، ثم اضطجع رسول الله ﷺ حتى طلع الفجر، وصلى الفجر بأذان وإقامة حين تبين ثم ركب القصواء حتى أتى المشعر الحرام، فاستقبل القبلة فدعاه وكبره وهلله ووحّده فلم يزل واقفًا حتى أسفر جدًّا، فدفع قبل أن تطلع الشمس، وأردف الفضل بن

---

(١) وينكتها إلى الناس: أي يقلبها ويردها إلى الناس مشيرًا إليهم.

(٢) حبل المشاة: أي مجتمعهم.

(٣) شنق للقصواء الزمام: أي يشد ويرخي زمام الناقة.

(٤) مورك رحله: أي الموضع الذي يثني الراكب رجله عليه.

(٥) ويقول بيده اليمنى: أي يشير بها للناس.

(٦) أي: لم يصل أي صلاة مسنونة أو نافلة بينهما.

عباس وكان رجلًا حسن الشعر أبيض وسيمًا فلما دفع رسول الله ﷺ مرت به ظُعَن[1] يجرين فطفق الفضل ينظر إليهن فوضع رسول الله ﷺ يده على وجه الفضل فحول الفضل وجهه إلى الشق الآخر ينظر فحول رسول الله ﷺ يده من الشق الآخر على وجه الفضل يصرف وجهه حتى أتى بطن محسِّر فحرك قليلًا ثم سلك الطريق الوسطى التي تخرج على الجمرة الكبرى، حتى أتى الجمرة التي عند الشجرة فرماها بسبع حصيات يكبر مع كل حصاة منها مثل حصى الخذف رمى من بطن الوادي ثم انصرف إلى المنحر[2] فنحر ثلاثًا وستين بيده ثم أعطى عليًّا فنحر ما غبر[3] وأشركه في هديه ثم أمر من كل بدنة ببضعة[4] فجعلت في قدر فطبخت فأكلا من لحمها وشربا من مرقها ثم ركب رسول الله ﷺ فأفاض إلى البيت فصلى بمكة الظهر فأتى بني عبدالمطلب يسقون على زمزم فقال: **انزِعوا بني عبدالمطلب[5] فلولا أن يغلبكم الناس على سقايتكم[6] لنزعت معكم»** فناولوه دلوًا فشرب منه.

---

(١) ظُعَن: المراد النساء التي تركب فوق البعير.

(٢) المنحر: أي المكان الذي تذبح فيه الهدي.

(٣) ما غبر: أي ما بقي.

(٤) ببضعة: أي بقطعة من اللحم.

(٥) انزعوا بني عبدالمطلب: أي اسقوا بالدلاء وانزعوا بالحبال.

(٦) أي: لولا خوفي أن يحسب الناس السقي من مناسك الحج ويزدحموا عليه.

هذه هي كيفية أداء مناسك الحج من معلم البشرية وهادي الإنسانية ومخرجها من الظلمات إلى النور... كما رواها الإمام مسلم في صحيحه.

هذا هو هدي رسول الله ﷺ في حجه من أتى به وفعل مثل فعله فقد امتثل لقوله ﷺ«**خذوا عني مناسككم**» وكان حجه مقبولًا بإذن الله، ولكن ماذا يفعل من أراد الحج ونوى تلك الرحلة العظيمة لرؤية مقدسات الإسلام والأماكن الطاهرة التي مرَّ عليها أطهر خلق الله وأحب خلق الله إلى الله ﷺ؟

الآداب التي يجب أن تراعى عندما ينوي الإنسان حج بيت الله الحرام:

فمن الآداب التي يجب أن تراعى عندما ينوي الإنسان حج بيت الله الحرام، كما قال الإمام الغزالي:

الأول: أن تكون النفقة حلالًا، وتكون اليد خالية من تجارة تشغل القلب وتفرق الهم، حتى يكون الهم مجردًا لله تعالى، والقلب مطمئنًا منصرفًا إلى ذكر الله تعالى وتعظيم شعائره، وقد روي في خبر من طريق أهل البيت «**إذا كان آخر الزمان خرج الناس إلى الحج أربعة أصناف: سلاطينهم للنزهة، وأغنياؤهم للتجارة، وفقراؤهم للمسألة، وقراؤهم للسمعة**»[1].

وفي الخبر إشارة إلى جملة أغراض الدنيا التي يتصوَّر أن تتصل بالحج، فكل

(١) أخرجه الخطيب من حديث أنس.

ذلك مما يمنع فضيلة الحج، ويخرجه عن حيز حج الخصوص؛ لاسيما إذا كان متجردًا بنفس الحج بأن يحج لغيره بأجرة فيطلب الدنيا بعمل الآخرة. وقد كره الورعون وأرباب القلوب ذلك إلا أن يكون قصده المقام بمكة ولم يكن له ما يبلغه فلا بأس أن يأخذ ذلك على هذا القصد لا ليتوصل بالدين إلى الدنيا بل بالدنيا إلى الدين، فعند ذلك ينبغي أن يكون قصده زيارة بيت الله ﷻ ومعاونة أخيه المسلم بإسقاط الفرض عنه. وفي مثله ينزل قول رسول الله ﷺ «**يدخل الله سبحانه بالحجة الواحدة ثلاثة الجنة: الموصي بها، والـمنفذ لها، ومن حج بها عن أخيه**»(١) ولست أقول لا تحل الأجرة أو يحرم ذلك بعد أن أسقط فرض الإسلام عن نفسه، ولكن الأولى ألا يفعل ولا يتخذ ذلك مكسبه ومتجره، فإن الله ﷻ يعطي الدنيا بالدين ولا يعطي الدين بالدنيا. وفي الخبر «**مثل الذي يغزو في سبيل الله ﷻ ويأخذ أجرًا مثل أم موسى عليه السلام ترضع ولدها وتأخذ أجرها**» فمن كان مثاله في أخذ الأجرة على الحج مثال أم موسى فلا بأس بأخذه، فإنه يأخذ ليتمكن من الحج والزيارة فيه، وليس يحج ليأخذ الأجرة بل يأخذ الأجرة ليحج كما كانت تأخذ أم موسى ليتيسر لها الإرضاع بتلبيس حالها عليهم.

الثاني: التوسع في الزاد وطيب النفس بالبذل والإنفاق من غير تقتير ولا إسراف، بل على الاقتصاد، وأعني بالإسراف التنعم بأطايب الأطعمة والترفه

---

(١) أخرجه البيهقي.

بشرب أنواعها على عادة المترفين؛ فأما كثرة البذل فلا سرف فيه، إذ لا خير في السرف ولا سرف في الخير كما قيل، وبذل الزاد في طريق الحج نفقة في سبيل الله ﷻ، والدرهم بسبعمائة درهم، قال ابن عمر رضي الله عنهما: من كرم الرجل طيب زاده في سفره، وكان يقول: أفضل الحجيج أخلصهم نية وأزكاهم نفقة وأحسنهم يقينًا. وقال ﷺ: «**الحج المبرور ليس له جزاء إلا الجنة. فقيل له يا رسول الله: ما بر الحج؟ فقال: طيب الكلام وإطعام الطعام**»[1].

الثالث: ترك الرفث والفسوق والجدال كما نطق به القرآن. والرفث اسم جامع لكل لغو وفحش من الكلام، ويدخل فيه مغازلة النساء ومداعبتهن، والتحدث بشأن الجماع ومقدماته فإن ذلك يهيج داعية الجماع المحظور، والداعي المحظور محظور. والفسوق اسم جامع لكل خروج عن طاعة الله ﷻ. والجدال هو المبالغة في الخصومة والمماراة بما يورث البغض والحقد ويناقض حسن الخلق. وقد قال سفيان: من رفث فسد حجه. وقد جعل رسول الله ﷺ طيب الكلام مع إطعام الطعام من بر الحج، والمماراة تناقض طيب الكلام، فلا ينبغي أن يكون كثير الاعتراض على رفيقه وعلى غيره من أصحابه، بل يلين جانبه، ويخفض جناحه للسائرين إلى بيت الله ﷻ، ويلزم حسن الخلق. وليس حسن الخلق كف الأذى بل احتمال الأذى.

---

(١) أخرجه أحمد.

الرابع: أن يكون غير مستكثر من الزينة ولا مائل إلى أسباب التفاخر والتكاثر فقد «**أمر ﷺ بالشعث والاختفاء**». و«**نهى عن التنعم والرفاهية**» في حديث فضالة بن عبيد، وفي الحديث «**إنما الحاج الشعث التفث**»[1] ويقول الله تعالى: «**انظروا إلى زوار بيتي قد جاءوني شعثًا غبرًا من كل فج عميق**»[2] وقال تعالى: ﴿ ثُمَّ لْيَقْضُواْ تَفَثَهُمْ ﴾[3] والتفث: الشعث والاغبرار، وقضاؤه بالحلق وقص الشارب والأظفار.

وكتب عمر بن الخطاب ﷺ إلى أمراء الأجناد: اخلولقوا واخشوشنوا، أي البسوا الخلقان وعوّدوا أنفسكم على الخشونة في المعيشة. وقد قيل: زين الحجيج أهل اليمن؛ لأنهم على هيئة التواضع والضعف وسيرة السلف فينبغي أن يجتنب الحمرة في زيه على الخصوص، والشهرة كيفما كانت على العموم، فقد روي «أنه ﷺ كان في سفرٍ فنزل أصحابه منزلًا فسرحت الإبل فنظر إلى أكسية حمر على الأقتاب فقال ﷺ: «**أرى هذه الحمرة قد غلبت عليكم**» قالوا: فقمنا إليها ونزعناها عن ظهورها حتى شرد بعض الإبل»[4].

---

(١) أخرجه الترمذي وابن ماجه.

(٢) أخرجه الحاكم.

(٣) سورة الحج آية: ٢٩.

(٤) أخرجه أبو داود.

تفصيل أعمال الحج وبيانها

مواقيت الحج

حتى يكون الحج مقبولًا عند الله وصحيحًا لابد أن تؤدى جميع أعماله في مواقيت زمانية ومكانية حددتها الشريعة الإسلامية.

أ- المواقيت الزمانية.

الحج يقع في أشهر معلومات، هذه الأشهر أجمع العلماء أنها: شوال، وذو القعدة، وعشر من ذي الحجة وخالف مالك فقال: إن أشهر الحج: شوال وذو القعدة وذو الحجة بتمامه، ورجح ذلك معه ابن حزم فقال: قال تعالى: ﴿ٱلْحَجُّ أَشْهُرٌ مَّعْلُومَـٰتٌ﴾[1]. ولا يطلق على شهرين وبعض آخر شهر، وأيضًا: فإن رمي الجمار، وهو من أعمال الحج يؤدى يوم الثالث عشر من ذي الحجة، وكذلك طواف الإفاضة يتم في شهر ذي الحجة كله بلا خلاف، فصح أنها ثلاثة أشهر.

ثمرة هذا الخلاف:

وتظهر ثمرة ذلك الخلاف إذا ما وقع عمل من أعمال الحج بعد يوم النحر هل يلزمه دم التأخير أو لا يلزمه دم التأخير؟ فمن قال ذو الحجة كله من أشهر الحج قال: لم يلزمه دم التأخير، والآخر يقول: يلزمه دم التأخير.

---

(١) سورة البقرة آية: ١٩٧.

من أحرم بالحج قبل أشهر الحج هل يصح حجه؟

اتفق العلماء على أنه: لا يصح الإحرام بالحج إلا في أشهره ومن أحرم قبل أشهر الحج فقد أحل بعمرة ولا يجزئ ذلك عن إحرام الحج، لأنه كما قال الإمام الشوكاني: قد ضرب الله لأعمال الحج أشهرًا معلومة، والإحرام عمل من أعمال الحج فمن ادعى أنه يصح قبلها فعليه الدليل، هذا رأي ابن عباس وابن عمر وجابر والشافعي وغيرهم.

والرأي الثاني- للحنفية ومالك وأحمد: يرون أن الإحرام بالحج قبل أشهره يصح مع الكراهة.

ب- المواقيت المكانية:

أي الأماكن التي يحرم منها من يريد الحج وقد حددها الشرع فلا يحل لأحد أن يتجاوزها بدون إحرام وهي خمسة:

أولها: «ذُو الحُلَيْفَة»

ميقات أهل المدينة وكل من يمر به وهو موضع بينه وبين مكة (٤٥٠) كيلو مترًا وبينه وبين الحرم المدني (١٨) كيلو مترًا وهو شمال مكة، ويسمى آبار عليٍّ أو أبيار عليٍّ.

ثانيها: «الجُحْفَة»

ميقات أهل مصر والشام والمغرب ومن يمر به من الأوروبيين، والجحفة قريبة من قرية «رابغ» التي صارت هي الميقات بدلًا من «الجحفة» التي ذهبت معالمها الآن و«رابغ» تبعد عن مكة (٢٠٤) كيلو مترًا.

ثالثها: «ذَاتُ عِرْقٍ»

ميقات أهل العراق، وكل من يمر به، ويقع شمال شرق مكة ويبعد عنها (٩٤) كيلو مترًا.

رابعها: «قَرْنُ المَنَازِلِ»

ميقات أهل نجد ومن يمر بطريقهم، وهو قريب من المكان المسمى اليوم بالسيل وهو جبل مطل على عرفات شرق مكة على بعد (٩٤) كيلو مترًا منها.

خامسها: «يَلَمْلَمَ»

ميقات أهل اليمن ومن يمر به، وهو جبل جنوب مكة يبعد عنها (٥٤) كيلو مترًا.

هذه هي المواقيت التي وقّتها صاحب الشرع ﷺ لأهلها ولمن يمر بها، قال صلوات الله وسلامه عليه: «**هن لهن ولمن أتى عليهن من غيرهن ممن أراد الحج والعمرة ومن كان دونهن فمُهَلُّه من أهله حتى أهل مكة يهلون منها**»[1].

وفي خروج الحاج من بيته ومفارقته لأهله وولده ووطنه قاصدًا بيت الله تعالى ثم دخوله إلى الميقات ففي ذلك من الأسرار ما يخفى على كثير من الناس.. وسأترك الإمام الغزالي ليزيح الستار عن تلك الأسرار فيقول: وأما الخروج من البلد: فليعلم عنده أنه فارق الأهل والوطن متوجهًا إلى الله ﷻ في سفر لا يضاهي أسفار الدنيا

---

(١) متفق عليه.

فليحضر في قلبه أنه ماذا يريد وأين يتوجه وزيارة من يقصد وأنه متوجه إلى ملك الملوك في زمرة الزائرين له الذين نودوا فأجابوا وشوقوا فاشتاقوا واستنهضوا فنهضوا وقطعوا العلائق وفارقوا الخلائق وأقبلوا على بيت الله ﷻ الذي فخم أمره وعظم شأنه ورفع قدره تسليًا بلقاء البيت عن لقاء رب البيت إلى أن يرزقوا منتهى مناهم ويسعدوا بالنظر إلى مولاهم، وليحضر في قلبه رجاء الوصول والقبول لا إدلالًا بأعماله في الارتحال ومفارقة الأهل والمال ولكن ثقة بفضل الله ﷻ ورجاء لتحقيقه وعده لمن زار بيته، وليرجُ أنه إن لم يصل إليه وأدركته المنية في الطريق لقي الله ﷻ وافدًا إليه إذ قال جل جلاله: ﴿ وَمَن يَخْرُجْ مِنۢ بَيْتِهِۦ مُهَاجِرًا إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ يُدْرِكْهُ ٱلْمَوْتُ فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِ ﴾[1].

وأما دخول البادية إلى الميقات ومشاهدة تلك العقبات: فليتذكر فيها ما بين الخروج من الدنيا بالموت إلى ميقات يوم القيامة وما بينهما من الأهوال والمطالبات، وليتذكر من هول قطاع الطريق هول سؤال منكر ونكير ومن سباع البوادي عقارب القبر وديدانه وما فيه من الأفاعي والحيات، ومن انفراده عن أهله وأقاربه وحشة القبر وكربته ووحدته وليكن في هذه المخاوف في أعماله وأقواله متزودًا لمخاوف القبر.

يقول أ.د زغلول النجار عن أسرار الوقوف عند الميقات:

---

(١) سورة النساء آية: ١٠٠.

«الوقوف عند الميقات يذكر الحاج بأجله الذي حدده الله تعالى له، والذي يقول فيه: ﴿ وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَن تَمُوتَ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ كِتَٰبًا مُّؤَجَّلًا ﴾[1] والانتقال من الحل إلى الحرم عبر الميقات يذكر بالانتقال من الدنيا إلى الآخرة عبر الموت والتلبية نداء إلى الله، واستنجاد برحمته واحتماء بحماه».

- فوائد:

١- من مر مِن طريق بين ميقاتين فما مِيقاته؟

من سلك طريقًا بين ميقاتين فعند معظم العلماء والفقهاء يجتهد، ويحرم من أبعدهما من مكة.

٢- من أحرم قبل الميقات:

أجمع أهل العلم على الآتي:

من أحرم قبل الميقات فهو محرم ولكن يكره ذلك؛ لأن الصحابة علمونا أن رسول الله ﷺ وَقَّتَ لأهل المدينة ذا الحليفة.. إلخ الحديث

٣- ميقات من كان بين الميقات وبين مكة: من كان كذلك فميقاته من منزله.

٤- من كان بلا ميقات:

من كان طريقه لا يوجد به ميقات من المواقيت التي حددها الرسول ﷺ فميقاته ما شاء، وذلك لأن الدين الإسلامي يتبع دائمًا منهج التيسير.

---

(١) سورة آل عمران آية: ١٤٥.

٥- ميقات أهل مكة: منازل مكة نفسها.

وهنا أسوق لك ما قاله الإمام الغزالي فيمن يريد أن يدخل مكة المكرمة ... قال: وأما دخول مكة: فيتذكر عندها أنه قد انتهى إلى حرم الله تعالى آمنًا وليرجُ عنده أن يأمن بدخوله من عقاب الله ﷻ وليخشَ ألا يكون أهلًا للقرب فيكون بدخوله الحرم خائبًا ومستحقًّا للمقت، وليكن رجاؤه في جميع الأوقات غالبًا فالكرم عميم والرب رحيم وشرف البيت عظيم وحق الزائر مرعي وزمام المستجير اللائذ غير مضيع.

وأما وقوع البصر على البيت؛ فينبغي أن يحضر عنده عظمة البيت في القلب ويقدر كأنه مشاهد لرب البيت لشدة تعظيمه إياه، وارجُ أن يرزقك الله تعالى النظر إلى وجهه الكريم كما رزقك الله النظر إلى بيته العظيم، واشكر الله تعالى على تبليغه إياك هذه الرتبة وإلحاقه إياك بزمرة الوافدين عليه، واذكر عند ذلك انصباب الناس في القيامة إلى جهة الجنة آملين لدخولها كافة ثم انقسامهم إلى مأذونين في الدخول ومصروفين انقسام الحاج إلى مقبولين ومردودين، ولا تغفل عن تذكر أمور الآخرة في شيء مما تراه فإن كل أحوال الحاج دليل على أحوال الآخرة.

٦- من كان داخل الحرم وأراد الإحرام بعمرة:

من كان كذلك فعليه أن يحرم لها من الحل، فيخرج إلى أقرب الحل إلى مكة «التنعيم» ويحرم منه.

... وهنا يتبادر سؤال:

ما حدود الحرم المكي؟

الحرم المكي له حدود واضحة نصبت عليها أعلام في خمس جهات، فحده من جهة الشرق (الجعرانة) وتبعد عن مكة (١٦) كيلو مترًا، وحده من جهة الغرب (الشميسي) ويبعد (١٥) كيلو مترًا عن مكة، وحده من جهة الشمال (التنعيم) ويبعد عن مكة (٦) كيلو مترًا، وحده من جهة الجنوب (أضاه) ويبعد عن مكة (١٢) كيلو مترًا، وحده من جهة الشمال الشرقي (وادي نخلة) ويبعد عن مكة (١٤) كيلو مترًا.

هذه هي حدود الحرم المكي، والحرم المكي هو المجمع على تحريمه، وكذلك الحرم المدني؛ فعن جابر بن عبدالله ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: «**إن إبراهيم حرم مكة، وإني حرمت المدينة ما بين لابتيها، لا يقطع عضاها ولا يصاد صيدها**»[1] فهذا يدل على أن هناك حرم مكي بمكة، وحرم مدني بالمدينة، يوضح حدود الحرم المدني قول الرسول ﷺ: «**المدينة حرم ما بين عير إلى ثور**»[2].

قُدِّر هذا الحرم المدني باثني عشر ميلًا، يمتد من عير إلى ثور، و(عير) جبل عند الميقات، و(ثور) جبل عند أحد من جهة الشمال.

---

(١) رواه مسلم.

(٢) متفق عليه.

هل يوجد حرم ثالث؟

قال ابن تيمية: ليس في الدنيا حرم- لا بيت المقدس ولا غيره- إلا هذان الحرمان، ولا يسمى غيرهما حرمًا كما يسمي الجهال فيقولون: حرم المقدس وحرم الخليل، فإن هذين وغيرهما ليسا بحرم باتفاق المسلمين.

حكم من دخل مكة المكرمة لغير الحج والعمرة:

يجوز دخول مكة المكرمة بغير إحرام لمن لم يرد حجًّا ولا عمرة؛ فقد روي أن رسول الله ﷺ دخل مكة وعليه عمامة سوداء بغير إحرام[1]، وكذلك روي عن ابن عمر رضي الله عنهما أنه رجع من بعض الطريق فدخل مكة غير محرم.

* * *

(١) صحيح مسلم.

أركان الحج

الأركان جمع ركن، والركن في الحج ما تتوقف عليه صحة الحج؛ فإن ترك الحاج ركنًا من أركان الحج فإن حجه يكون باطلًا وعليه إعادته، والمتفق عليه عند مالك والشافعي وأحمد أن الأركان أربعة هي:

الإحرام، والوقوف بعرفة، والسعي بين الصفا والمروة، وطواف الإفاضة، وزاد الشافعي ركنين: الحلق والتقصير، وترتيب معظم الأركان بأن يقدم الإحرام على جميعها، والوقوف بعرفة على طواف الإفاضة.

وخالف الحنفية حيث جعلوا أركان الحج: الوقوف بعرفة، وطواف الإفاضة فقط، وجعلوا باقي الأركان واجبة حيث إن الواجب عندهم أقل مرتبة من الفرض وأعلى من السنة، وجعلوا الإحرام شرط صحة ابتداءً وركنًا بعد ذلك.

من أركان الحج الإحرام

والإحرام هو نية الحج أو العمرة أو الحج والعمرة معًا، وهو من الأهمية بمكان، حيث إنه في كل عمل يعمله ابن آدم لابد له من نية حتى يؤجر عليه؛ قال تعالى: ﴿وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ﴾[1].

وقال نبينا صلوات الله وسلامة عليه: «**إنما الأعمال بالنيات، وإنما لكل امرئ ما نوى**»[2] فالنية كما نعلم هي التي تحول العادات إلى عبادات فبدون النية يصبح الإنسان آلة صماء لا روح فيها، والله تعالى يريد قلوبًا تعي وتنفذ لا قوالب ترص وفقط!.

فيقول الحاج: نويت الحج أو يقول: نويت العمرة أو نويت الحج والعمرة معًا؛ يقول الإمام الغزالي: وأما الإحرام والتلبية من الميقات: فليعلم أن معناه إجابة نداء الله ﷻ فارجُ أن تكون مقبولًا واخشَ أن يقال لك: لا لبيك ولا سعديك؛ فكن بين الرجاء والخوف مترددًا وعن حولك وقوّتك متبرئًا، وعلى فضل اللهﷻ وكرمه متكلًا فإن وقت التلبية هو بداية الأمر وهي محل الخطر.

قال سفيان بن عيينة: حج علي بن الحسين رضي الله عنهما فلما أحرم واستوت

(١) سورة البينة آية: ٥.

(٢) سبق تخريجه.

به راحلته اصفرَّ لونه وانتفض ووقعت عليه الرعدة ولم يستطع أن يلبي، فقيل له: لم لا تلبي؟ فقال: أخشى أن يقال لي لا لبيك ولا سعديك فلما لبى غشي عليه ووقع عن راحلته فلم يزل يعتريه ذلك حتى قضى حجه، وقال أحمد بن أبي الحواري: كنت مع أبي سليمان الداراني رضي الله عنه حين أراد الإحرام فلم يلبِّ حتى سرنا ميلًا فأخذته الغشية ثم أفاق وقال: يا أحمد إن الله سبحانه أوحى إلى موسى ﷺ: مُرْ ظلمة بني إسرائيل أن يقلوا من ذكري فإني أذكر من ذكرني منهم باللعنة، ويحك يا أحمد: بلغني أن من حج من غير حله ثم لبى قال الله ﷻ: لا لبيك ولا سعديك حتى ترد ما في يديك فما نأمن أن يقال لنا ذلك! وليتذكر الملبي عند رفع الصوت بالتلبية في الميقات إجابته لنداء الله ﷻ إذ قال: ﴿ **وَأَذِّن فِي ٱلنَّاسِ بِٱلْحَجِّ** ﴾[1]، ونداء الخلق بنفخ الصور وحشرهم من القبور وازدحامهم في عرصات القيامة مجيبين لنداء الله سبحانه ومنقسمين إلى مقربين وممقوتين ومقبولين ومردودين: ومترددين في أول الأمر بين الخوف والرجاء تردد الحاج في الميقات حيث لا يدرون أيتيسر لهم إتمام الحج وقبوله أم لا.

هذا... وللإحرام آداب ومتطلبات، وله أنواع وله أماكن؛ أما الأماكن فقد تحدثنا عنها عند الحديث عن الميقات المكاني، وأما الآداب والمتطلبات فإليك بيانها:

---

(١) سورة الحج آية: ٢٧.

سنن وآداب ومتطلبات الإحرام:

أولًا: النظافة:

من عزم على الدخول في الإحرام فعليه بتقليم الأظافر وقص الشارب وحلق العانة والوضوء أو الاغتسال لقول ابن عمر رضي الله عنهما: «**من السنة أن يغتسل إذا أراد الإحرام وإذا أراد دخول مكة**»[1] وقالت عائشة رضي الله عنها: «نفست أسماء بنت عميس بمحمد بن أبي بكر بالشجرة فأمر النبي ﷺ أبا بكر أن يأمرها أن تغتسل وتهل»[2].

معنى ذلك: أن النفساء والحائض تغتسل وتُحرم وتقضي المناسك كلها غير أنها لا تطوف بالبيت حتى تطهر كما أخبر النبي بذلك في الحديث الذي رواه أحمد وأبو داود والترمذي.

ثانيًا: ما يلبسه المحرم:

يتجرد من يريد الإحرام من الملابس المخيطة ويلبس ثوبي الإحرام: إزارًا يستر به النصف الأسفل من جسده ورداءً يستر به أعلاه ابتداء من الكتفين، ويستحب أن يكون الإزار والرداء أبيضين جديدين، فإن البياض أحب الثياب إلى الله تعالى، ويلبس في رجليه نعلين تحت الكعبين، هذا بالنسبة للرجل.

---

(١) أخرجه البزار والدارقطني.

(٢) أخرجه مسلم وأبو داود وغيرهما.

أما المرأة فتستر جميع جسدها بملابس عادية على أن تكشف وجهها وكفيها لأن إحرامها فيهما. قال ابن عباس رضي الله عنه: «انطلق رسول الله ﷺ من المدينة بعدما ترجل وأدهن، ولبس إزاره ورداءه هو وأصحابه»[1].

يقول الأستاذ الدكتور زغلول النجار عن أسرار الإحرام: «غسل الإحرام يذكر الحاج بغسله ميتًا وهو لا يملك لنفسه شيئًا بين يدي مغسله، وهو رمز للتطهير من الذنوب والآثام».

وعن الإحرام نفسه قال: «الإحرام يذكر الحاج بالخروج من الدنيا بلا أدنى زينة أو ملك كما يذكره بالكفن الذي سوف يُلف فيه جسده بعد تغسيله».

وعن النية قال: «النية عهد بين العبد وربه بالاستقامة على منهج الله».

ثالثًا: التطيب والتعطر:

يسن التطيب في البدن والثياب قبل الإحرام للرجل والمرأة، ولا يضر بقاء لونه وريحه بشرط ألا تكون المرأة متصلة بالأجانب حتى لا يشمون ريحها لأنها منهية عن التطيب والتعطر للرجال الأجانب.

والأدلة على ذلك كثيرة منها:

- عن عائشة- رضي الله عنها قالت: «كأني أنظر إلى وبيض[2] الطيب في مفرق

---

(١) رواه البخاري.

(٢) وبيض: أي لمعان.

رسول الله ﷺ وهو محرم»[1].

وروي عن عائشة أيضًا أنها قالت: «كنت أطيب رسول الله ﷺ لإحرامه قبل أن يحرم ولحله قبل أن يطوف بالبيت»[2].

رابعًا: صلاة ركعتين:

يستحب لمن يريد الإحرام أن يصلي ركعتين في غير وقت كراهة؛ ينوي بهما سنة الإحرام؛ يقرأ في الركعة الأولى بعد فاتحة الكتاب: ﴿ قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْكَٰفِرُونَ ۝ لَآ أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ ۝ وَلَآ أَنتُمْ عَٰبِدُونَ مَآ أَعْبُدُ ۝ وَلَآ أَنَا۠ عَابِدٌ مَّا عَبَدتُّمْ ۝ وَلَآ أَنتُمْ عَٰبِدُونَ مَآ أَعْبُدُ ۝ لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِىَ دِينِ ۝ ﴾[3] وفي الركعة الثانية بعد الفاتحة: ﴿ قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ۝ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۝ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ۝ ﴾[4].

قال ابن عمر رضي الله عنهما: «كان النبي ﷺ يركع بذي الحليفة ركعتين»[5].

وهذه الصلاة مستحبة في غير وقت الكراهة، وتكون قبل الإحرام.

---

(١) رواه البخاري ومسلم.

(٢) رواه البخاري ومسلم.

(٣) سورة الكافرون آية: ١-٦.

(٤) سورة الإخلاص آية: ١-٤.

(٥) رواه مسلم.

أنواع الإحرام:

للإحرام أنواع ثلاثة: قِران وتمتع وإفراد؛ فالمحرم إن أراد بالإحرام الحج فقط سمي مفردًا، وإن أراد به العمرة أولًا ثم يتحلل ثم يحرم بالحج في نفس العام سمي متمتعًا لأنه أخذ فرصة تمتع فيها بالتحلل من الإحرام بين العمرة والحج، وإن أراد بالإحرام الجمع بين العمرة والحج في إحرام واحد بحيث لا يتحلل إلا بعد أن ينتهي من جميع أعمال العمرة والحج سمي قارنًا.

وقد أجمع العلماء على جواز أنواع الإحرام الثلاثة، يفعل المسلم أيها شاء؛ لما روي عن عائشة رضي الله عنها قالت: «خرجنا مع رسول الله ﷺ فمنا من أهلّ بعمرة ومنا من أهل بحج وعمرة ومنا من أهل بحج»[1].

كيف يلبي من نوى أحد أنواع الإحرام؟

- من نوى القِرَان يقول عند التلبية: «لبيك بحج وعمرة».
- ومن نوى التمتع يقول عندها: «لبيك بعمرة».
- ومن نوى الإفراد يقول: «لبيك بحج».

ولكن.. أي أنواع النسك أفضل؟

اختلف الفقهاء في ذلك والأمر فيه تيسير كبير وهذا مما يدل على سماحة الإسلام؛ حيث إن الأمر موكول ومتروك للمُحْرِم يختار من أنواع الإحرام ما

---

(١) متفق عليه.

شاء.

هل يجوز إطلاق الإحرام؟

وصورة ذلك: أن ينوي أن يصير محرمًا صالحًا لأداء النسك سواء كان ذلك النسك حجًّا أو عمرة أو هما معًا، قاصدًا أداء ما فرض الله عليه... لو أطلق ذلك جاز وصح إحرامه؛ لعدم معرفته بهذا التفصيل السابق، بل إن العلماء قالوا:

لو أهلَّ ولبَّى كما يفعل بقية حجاج بيت الله الحرام يقصد بقلبه بذلك أداء النسك ولم يُسمِّ أو يقصد شيئًا صح حجه.

كأن يقول المحرم مثلًا: اللهم إني أحرم بما أحرم به فلان وأنوي ما نواه، كما فعل علي بن أبي طالب حين قال: «أهللت بما أهل به رسول الله ﷺ».

فوائد:

إذا علم من أحرم بمثل ما أحرم به فلان ما أحرم به فلان انعقد إحرامه بمثل إحرام فلان هذا.

وإذا لم يعلم ما أحرم به فلان فعليه أن يصرف الإحرام إلى أي نسك (إفراد، أو تمتع، أو قِرَان).

وكذلك الحكم مع فلان الذي لم يحرم وعلم ذلك عنه أو أنه أحرم بنسك ثم نسيه.

من أحرم بحجتين أو عمرتين:

عند الإمام مالك ينعقد الإحرام بواحدة منهما والثانية لاغية، وقال الشافعي وأحمد مثل ذلك.

أما الإمام أبو حنيفة فله رأي آخر... حيث قال: ينعقد بهما (أي عليه حجتان أو عمرتان) فيؤدي واحدة، وعليه قضاء الأخرى.

ماذا يباح للمحرم؟

١- الاغتسال:

يباح للمحرم بحج أو عمرة غسل رأسه وبدنه برفق بحيث لا يُسْقِط شعرًا عن رأسه أو بدنه؛ فقد ثبت عن رسول الله ﷺ أنه اغتسل وهو محرم كما ثبت عن بعض الصحابة اغتسالهم وهم محرمون، فعن ابن عباس رضي الله عنهما أنه دخل حمام الجُحْفَة وهو محرم، قيل له: أتدخل الحمام وأنت محرم؟ فقال: إن الله ما يعبأ بأوساخنا شيئًا.

وعن جابر ﷺ قال: يغتسل المحرم ويغسل ثوبه، وبالنسبة للمرأة تنقض شعرها وتمشطه، فهما أمران جائزان؛ فقد أمر النبي ﷺ عائشة رضي الله عنها أن تفعل ذلك فقال: «**انقضي شعرك وامتشطي**»[1].

٢- الاستظلال بمظلة ونحوها وتغطية الوجه:

- يجوز أن يستظل المحرم بمظلة أو أي شيء يحميه من حرارة الشمس فقد ثبت أن النبي ﷺ ستره أحد الصحابة وظلله وهو محرم.

- وقد كان عثمان بن عفان وزيد بن ثابت ومروان بن الحكم يخمِّرون

(١) رواه مسلم.

وجوههم وهم محرمون[1]، وعن طاوس: يغطي المحرم وجهه من غبار أو رماد.

٣- لبس الخفين للمرأة:

يباح للنساء لبس الخفين؛ وذلك لما روي أن رسول الله ﷺ كان قد رخَّص للنساء في الخفين.[2]

٤- الحجامة وما يشبهها:

ثبت أن النبي ﷺ احتجم وهو محرم وسط رأسه [3].

- أجمع العلماء على جواز الحجامة لعذر، وعلى جواز الفصد[4] وربط الجرح والدمامل وقلع الضرس، وكل ما فيه تداوي وليس فيه ارتكاب محظور من محظورات الإحرام.

٥- تعليق كيس النقود وحمل الساعة والتليفون المحمول باليد:

يجوز أن يتخذ المحرم مكانًا يحفظ فيه نقوده، وكذلك لا بأس بلبس الخاتم في الأصبع والساعة في اليد؛ وذلك لقول ابن عباس: «لا بأس بالهميان[5] والخاتم

---

(١) يخمرون أي يسترون.

(٢)

(٣) أخرجه السبعة.

(٤)

(٥)

للمحرم»[1].

وقال عطاء والشافعي ومالك: إذا احتاج المسلم إلى أن يتقلد بسيفه لضرورة تدعو إلى ذلك فإن له ذلك ولا شيء عليه، قال بعض العلماء: لو حمل السيف لغير ضرورة جاز؛ لأنه ليس في معنى الملبوس فهو مثل حمل القربة، ويقاس على جواز ذلك جواز حمل «الموبايل» التليفون المحمول في يد المحرم؛ لأنه أيضًا ليس في معنى الملبوس.

٦- الاكتحال وقطر الدواء في العين:

يجوز للمحرم الاكتحال؛ فعن ابن عباس رضي الله عنهما: يكتحل المحرم بأي كحل إذا رمد ما لم يكتحل بطيب أو من غير رمد.

وقد أجمع العلماء على جوازه للتداوي، وما يعتبر زينة مكروه.

٧- الخضاب بالحناء حال الإحرام:

يجوز ذلك عند الحنابلة والشافعية في جميع أجزاء البدن ما عدا اليدين والرجلين عند الشافعية فلا يخضبهما إلا لحاجة. بخلاف الحنفية والمالكية فلا يجوزون الخضاب بالحناء في أي جزء من أجزاء البدن (رجلًا أو امرأة) لأنه طيب.

٨- يجوز للمحرم النظر في المرآة، جاء ذلك عن ابن عباس وابن عمر.

---

(١) أخرجه البيهقي.

٩- قتل الذباب والنمل:

عن عطاء أن رجلًا سأله عن القرادة[1] والنملة تدب عليه وهو محرم فقال: «ألق عنك ما ليس منك».

١٠- خمس من الدواب كلهن فاسق..

يجوز للمحرم قتل الغراب والحدأة والعقرب والسبع والنمر والفأرة والذئب والكلب العقور؛ وذلك لحديث: عائشة قالت: قال رسول الله ﷺ: **«خمس من الدواب كلهن فاسق يقتلن في الحرم: الغراب والحدأة والعقرب والفأرة والكلب العقور»**[2].

والمراد بالكلب العقور عند الجمهور كل ما عقر الناس وهجم عليهم وأخافهم مثل: الأسد والنمر ونحوهما.

الأمور التي تحرم على المحرم:

يحرم على المحرم أمور كثيرة منها:

١- الجماع ومقدماته:

كالقبلة واللمس بشهوة وكلام الرجل مع زوجته في أمور الجماع.

٢- يحرم لبس المخيط:

---

(١) والقرادة: حشرة تمتص الدم.

(٢) متفق عليه.

كالقميص والجلباب، والجبة، والسراويل، والبرنس، والقفطان، والبنطلون وكذلك يحرم لبس الخف والحذاء؛ وذلك لقول النبي ﷺ: «**لا تلبسوا القمص**[1] **ولا العمائم ولا السراويلات، ولا البرانس ولا الخفاف إلا أحدٌ لا يجد النعلين فليلبس الخفين وليقطعهما أسفل من الكعبين ولا تلبسوا من الثياب شيئًا مسه الزعفران ولا الورس**»[2].

وأجمع العلماء على أن هذا خاص بالرجل أما المرأة فلها أن تلبس جميع ذلك ولا يحل لها الثوب الذي مسه طيب، ولا تلبس النقاب والقفازين لقول ابن عمر رضي الله عنهما: «نهى النبي ﷺ النساء في إحرامهن عن القفازين والنقاب وما مس الورس والزعفران من الثياب ولتلبس بعد ذلك ما أحبت من ألوان الثياب من معصفر[3] أو خز[4] أو حلي[5]، أو سراويل أو قميص أو خف»[6].

قال العلماء: حكمة تحريم الملابس السابقة الواردة في الحديث:

البعد عن الترف والتذكير بالبعث يوم القيامة لجميع الخلائق وهم

---

(١) ومعنى (القمص) جمع قميص، (السراويلات) مفردها : سروال وهو ما أعد ليحيط بالجسم، (البرانس) مفردها: البرنس وهو ساتر للرأس (الخفاف) جمع خف، وهو ما يلبس في القدم.

(٢) متفق عليه.

(٣) معصفر: أي لونه يميل إلى الحمرة

(٤) أو خز: أي حرير.

(٥) حلي: كل ما هو للزينة.

(٦) رواه أبو داود والبيهقي.

حفاة عراة فيتعظ المؤمن بذلك الموقف المهيب فيظل خاشعًا ذليلًا واضعًا نصب عينيه ربه وخالقه ومولاه فيكثر من ذكره سبحانه وتعالى ويراقبه في السر والعلانية ويمتنع عن ارتكاب المحظورات والمحرمات كذلك يبعد عن الطيب والنساء اللذان يعتبران من مصادر الترف والتلذذ في الدنيا حتى يكون همه ومقصده الآخرة فقط.

ماذا يفعل من لم يجد الإزار والرداء؟

يلبس ما يجد فقد روى ابن عباس عن النبي ﷺ أنه خطب بعرفات فقال: «**إذا لم يجد المسلم إزارًا فليلبس السراويل، وإذا لم يجد النعلين فليلبس الخفين**»[1].

٣- الجدال والشحناء والمخاصمة:

لقول الله تعالى: ﴿ **فَمَن فَرَضَ فِيهِنَّ ٱلْحَجَّ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِي ٱلْحَجِّ** ﴾[2].

ولقول الرسول صلوات الله وسلامه عليه: «**من حج ولم يرفث ولم يفسق رجع من ذنوبه كيوم ولدته أمه**»[3].

٤- التعطر عمدًا:

للمُحْرِم أن يتطيب- كما تقدم- عند الإحرام لكن.. هل يمس الطيب بعد

---

(١) متفق عليه.

(٢) سورة البقرة آية: ١٩٧.

(٣) متفق عليه.

الإحرام؟ الجواب: لا. فإن تطيب أثم. وماذا عليه؟ عليه فدية (يستوي في ذلك الرجل والمرأة) هذا في التعطر عمدًا.. فهل يسري ذلك الحكم على المتعطر ناسيًا؟ يجيبنا عن ذلك الإمامان (الشافعي وأحمد) «لا شيء على الناسي إنما الفدية على المتعمد».

لمحات: - المحرم الذي يصيبه طيب وعطر الكعبة المشرفة أثناء الطواف بالبيت هل عليه شيء؟ **والجواب لا شيء عليه**؛ روي عن عطاء قال: «لا يغسله ولا شيء عليه».

- وروي أن صالح بن كيسان قال: رأيت أنس بن مالك وقد أصاب ثوبه وهو محرم من خلوق الكعبة فلم يغسله.

إذا كان الثوب مصبوغًا بما له رائحة طيبة هل يلبسه؟ اتفق العلماء على حرمة لبسه فقد روي أن النبي ﷺ قال: «**لا تلبسوا ثوبًا مسه ورْسٌ أو زعفران إلا أن يكون غسيلًا**»(١).

٥- التخضب بالحناء:

لا شيء في التخضب بالحناء عند الفقهاء جميعًا عدا الحنفية؛ لأن الحناء عند الجمهور ليست بطيب فلا شيء في التخضب بها.

٦- تقليم الأظافر، وقص الشعر أو إزالته (شعر الرأس أو غيره) كل ذلك من المحرمات على المحرم.

---

(١) رواه ابن عبد البر.

قال تعالى ﴿ وَلَا تَحْلِقُواْ رُءُوسَكُمْ حَتَّىٰ يَبْلُغَ ٱلْهَدْىُ مَحِلَّهُۥ ﴾[1] إلا إذا كان هناك ما يوجب ذلك؛ كأن ينكسر الظفر فأزاله فلا شيء في ذلك، أو كأن يكون برأسه مرض أو نحوه فلا بأس بإزالته؛ قال تعالى: ﴿ فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا أَوْ بِهِۦٓ أَذًى مِّن رَّأْسِهِۦ فَفِدْيَةٌ مِّن صِيَامٍ أَوْ صَدَقَةٍ أَوْ نُسُكٍ ﴾[2] فيزيل وعليه فدية.

- فائدة:

١- شعر المحرم لا يستر بنحو طاقية أو شال أو نحوهما فإن ذلك مما يحرم عليه أما إن ستر رأسه بيده أو أي حائل بين رأسه والشمس فلا بأس بذلك عند جميع الأئمة عدا الإمام مالك.

٢- إذا سقط الشعر من رأسه دون تدخل منه فلا شيء عليه.

٧- هل يعقد المحرم عقد الزواج لنفسه أو لغيره؟

جميع الأئمة على أنه يحرم على المحرم عقد الزواج لغيره أو لنفسه، فإن فعل فالعقد باطل.

ولم يخالف في ذلك سوى الإمام أبو حنيفة والثوري حيث قالا: لا بأس بذلك.

٨- صيد البر:

---

(١) سورة البقرة آية: ١٩٦.

(٢) سورة البقرة آية: ١٩٦.

يحرم على المحرم صيد البر أو قتله أو إيذاءه أو تنفيره؛ قال تعالى: ﴿أُحِلَّ لَكُمْ صَيْدُ ٱلْبَحْرِ وَطَعَامُهُۥ مَتَٰعًا لَّكُمْ وَلِلسَّيَّارَةِ ۖ وَحُرِّمَ عَلَيْكُمْ صَيْدُ ٱلْبَرِّ مَا دُمْتُمْ حُرُمًا ۗ﴾[1].

فبنص الآية يجوز صيد البحر، ويحرم صيد البر، ولما رواه ابن عباس رضي الله عنهما أن النبي ﷺ قال يوم فتح مكة: «**لا هجرة ولكن جهاد ونية وإذا استنفرتم فانفروا فإن هذا بلد حرم الله يوم خلق السموات والأرض وهو حرام بحرمة الله إلى يوم القيامة، وإنه لم يحل القتال فيه لأحد قبلي، ولم يحل لي إلا ساعة من نهار فهو حرام بحرمة الله إلى يوم القيامة لا يعضد شوكه، ولا يُنَفَّر صيدُه ولا يَلتقط لقطته إلا من عَرَّفها ولا يختلى خلاها** فقال العباس: يا رسول الله إلا الإذخر فإنه لِقَيْنهم ولبيوتهم. **قال: إلا الإذخر**»[2]، فمن هذا الحديث يتضح الآتي:

- لا يقطع شجر الحرم ولا شوكه إلا ما يؤذي، وكذلك إلا شجر الأراك حيث يتخذ منه السواك، ولا يقطع النبات الرطب عدا الإذخر[3] فيجوز قطعه.

- وبعد... فهذه بعض محظورات الإحرام فعلى المحرم أن يبتعد عنها طاعة لله

(١) سورة المائدة آية: ٩٦.

(٢) أخرجه الشيخان، واللفظ لمسلم.

(٣) الإذخر: وهو نبات طيب الرائحة.

ﷻ وإرضاءً له سبحانه بل الأحرى به أن يتجنبها... فقد ترك المحْرِم في سبيل الوصول إلى بيت الله الحرام الأهل والولد، والجاه والسلطان، والترف والرفاهية، وتكبد ألوانًا وصنوفًا من المشاق (مالية، وبدنية) كل ذلك لماذا؟ هل من أجل أن يقال: الحاج فلان! أم من أجل إرضاء المولى ﷻ لابد أن تكون نيته خالصة لوجه الله تعالى حتى يتقبل الله عمله فالحج المبرور الذي رحل عن وطنه ليبحث عنه ليس له جزاء إلا شيء واحد لا ثاني له... الجنة.

من وقع في محظور من المحظورات السابقة:

من أدى مناسك الحج بلا وقوع في محظور أو محرم فبها ونعمت، وإلا.. فمن كان له عذر في ارتكاب محظور من محظورات الإحرام (كحلق الشعر أو التعطر مثلًا..) ونحو ذلك، لزمه أن يذبح شاة أو يطعم ستة مساكين أو يصوم ثلاثة أيام. يختار ما يشاء من ذلك. ويكون حجه صحيحًا بإذن الله.

- لكن إن جامع المحرم زوجته فقد أبطل حجه أو عمرته فعن عبدالرحمن بن أبي ليلى عن كعب بن عجرة أن رسول الله ﷺ مر به زمن الحديبية فقال: «**قد آذاك هوامٌّ رأسك**» قال: نعم. فقال النبي ﷺ: «**احلق ثم اذبح شاة نسكًا أو صم ثلاثة أيام أو أطعم ثلاثة آصع من تمر على ستة مساكين**»[1].

(١) أخرجه ابن حبان.

- **التهيؤ للإحرام:**

إذا اقتربت أخي الحاج أو المعتمر من الميقات فتهيأ للإحرام وذلك بالآتي:

حلق الشعر، قص الأظافر، الاغتسال استعدادًا للإحرام، وهو غسل كغسل الجمعة للنظافة أو إن لم يتيسر لك الاغتسال فتوضأ، وادهن جسمك وشعرك بطيب ثم البس ما أعددت للإحرام من:

١- إزار تغطي به نصفك الأسفل، وليكن من بيض الثياب امتثالًا للسنة.

٢- رداء تغطي به نصفك الأعلى ما عدا وجهك ورأسك.

- وحذاء يظهر منه الكعبين[1] واحذر ما اعتدت أن تلبسه قبل إحرامك إلا أن تكون في حالة المضطر إلى ذلك فالبس ولكن لا تنسى أن عليك فدية؛ قال تعالى: ﴿ **فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا أَوْ بِهِۦٓ أَذًى مِّن رَّأْسِهِۦ فَفِدْيَةٌ مِّن صِيَامٍ أَوْ صَدَقَةٍ أَوْ نُسُكٍ** ﴾[2].

إذا فعلت ذلك أي اغتسال ولبس ثياب الإحرام- فقم بمحادثة سريعة مع ربك- صلِّ ركعتين لله تعالى سنة ثم بعدهما انوِ أداء ما تريد [حج- عمرة- حج وعمرة] وقل: «اللهم إني نويت كذا فيسره لي وتقبله مني».

ولكن أحب أن أذكرك بالنية فقبول الأعمال متوقف عليها فإن صلحت قُبل

(١) الكعبين: العظم المرتفع بظاهر القدم.

(٢) سورة البقرة آية: ١٩٦.

العمل وإلا فلا ... وأحب أيضًا أن أسوق إليك بعض ما قاله الإمام الغزالي:

وأما العزم: فليعلم أنه بعزمه قاصد إلى مفارقة الأهل والوطن ومهاجرة الشهوات واللذات متوجهًا إلى زيارة بيت الله ﷻ وليعظم في نفسه قدر البيت وقدر رب البيت، وليعلم أنه عزم على أمر رفيع شأنه خطير أمره وأن من طلب عظيمًا خاطر بعظيم وليجعل عزمه خالصًا لوجه الله سبحانه بعيدًا عن شوائب الرياء والسمعة، وليتحقق أنه لا يقبل من قصده وعمله إلا الخالص وأن من أفحش الفواحش أن يقصد بيت الملك وحرمه والمقصود غيره فليصحح مع نفسه العزم، وتصحيحه بإخلاصه، وإخلاصه باجتناب كل ما فيه رياء وسمعة؛ فليحذر أن يستبدل الذي هو أدنى بالذي هو خير.

وأما قطع العلائق: فمعناه رد المظالم والتوبة الخالصة لله تعالى عن جملة المعاصي فكل مظلمة علاقة وكل علاقة مثل غريم حاضر متعلق بتلابيبه ينادي عليه ويقول له: إلى أين تتوجه؟ أتقصد بيت ملك الملوك وأنت مضيع أمره في منزلك هذا ومستهين به ومهمل له: أولا تستحي أن تقدم عليه قدوم العبد العاصي فيردك ولا يقبلك؛ فإن كنت راغبًا في قبول زيارتك فنفذ أوامره ورد المظالم وتب إليه أولًا من جميع المعاصي واقطع علاقة قلبك عن الالتفات إلى ما وراءك لتكون متوجهًا إليه بوجه قلبك كما أنك متوجه إلى بيته بوجه ظاهرك؛ فإن لم تفعل ذلك لم يكن لك من سفرك أولًا إلا النصب والشقاء وآخرًا إلا الطرد والرد، وليقطع العلائق عن وطنه قطع من انقطع عنه وقدر ألا يعود إليه،

وليكتب وصيته لأولاده وأهله فإن المسافر وماله لعلى خطر إلا من وقى الله سبحانه، وليتذكر عند قطعه العلائق لسفر الحج قطع العلائق لسفر الآخرة فإن ذلك بين يديه على القرب وما يقدمه من هذا السفر طمع في تيسير ذلك السفر فهو المستقر وإليه المصير؛ فلا ينبغي أن يغفل عن ذلك السفر عند الاستعداد بهذا السفر.

كيف ينعقد هذا الإحرام؟

ينعقد ذلك بالتلبية بقولك: «**لبيك اللهم لبيك، لبيك لا شريك لك لبيك، إن الحمد والنعمة لك والملك، لا شريك لك**».

بهذه التلبية صرت محرمًا (بما نويت به) مطالبًا بتنفيذ جميع آداب ومتطلبات الإحرام المتقدمة.

المواطن التي تستحب التلبية فيها:

ويستحب الإكثار من التلبية كلما سرت أو وقفت أو صعدت مكانًا أو نزلت منه، أو قعدت أو صليت، أو أكلت أو شربت أو قابلت أحدًا أو نمت أو قمت من نومك وهكذا؛ لأن الملبي يخبر أنه يقيم على عبادة الله ويداوم عليها ويلازمها سواء كانت تلك العبادة حجًّا أو عمرة.

حكم التلبية:

العلماء مجمعون على مشروعية التلبية، أما حكمها فيرى الإمام الشافعي وأحمد أنها سنة ويرى الإمام مالك أنها واجبة يلزم بتركها دم، ويرى الحنفية أن

التلبية شرط من شروط الإحرام فمن تركها فلا إحرام له، فإن لم يلبِّ لكن سبح أو هلل أو ساق الهدي فإحرامه منعقد ويلزم دم لترك التلبية.

هل يجوز الزيادة على لفظ التلبية.- السابق-؟

الجمهور: لا بأس بالزيادة عليها؛ فقد زاد ابن عمر: «لبيك وسعديك، والخير بيديك، والرغباء إليك والعمل»[1].

وعند الإمام مالك أن صيغة التلبية الواردة عن النبي واجبة وفي تركها هدي.

وهل لابد أن تؤدى التلبية باللغة العربية أم يجوز أن تؤدى بأي لغة أخرى؟

الجمهور على أن من عجز عن التلبية باللغة العربية لبى بغيرها- أي ما يقوم مقامها.

بل إن الحنفية يجوزون التلبية بأي لغة وإن أتقن صاحبها اللغة العربية.

لكن المهم أن ينطق الملبي بها بلسانه ولا يكتفي بإمرارها على قلبه فقط.

هل يجهر بالتلبية رافعًا صوته؟

يستحب رفع الصوت بها، والمرأة في ذلك كالرجل ترفع صوتها بالتلبية؛ فقد ثبت أن أمهات المؤمنين رفعن أصواتهن بالتلبية.

يدل على استحباب رفع الصوت بالتلبية: أن النبي ﷺ قال: «**جاءني جبريل**

---

(١) متفق عليه.

ﷺ **فقال مر أصحابك فليرفعوا أصواتهم بالتلبية فإنها من شعائر الحج**»[1].

وكذلك عن أبي بكر ﷺ أن رسول الله ﷺ سئل: أي الحج أفضل؟ فقال: «**العجُّ**[2] **والثجُّ**[3]»[4].

وقت التلبية:

بمجرد الإحرام يبدأ وقت التلبية ويستمر حتى رمي جمرة العقبة يوم النحر بأول حصاة ثم يقطعها؛ وذلك لأن رسول الله ﷺ لم يزل يلبي حتى بلغ الجمرة[5].

هذا لمن أحرم بالحج، وعلى المعتمر أن يستمر في التلبية حتى يستلم الحجر الأسود؛ فقد روي عن ابن عباس رضي الله عنهما «أن النبي ﷺ كان يمسك عن التلبية في العمرة إذا استلم الحجر»[6].

ما فضل التلبية؟

للتلبية فضل عظيم في مغفرة الذنوب؛ فقد روي عن جابر ﷺ قال: قال

---

(١) رواه ابن ماجه وأحمد وابن خزيمة.

(٢) ومعنى العجُّ: رفع الصوت بالتلبية.

(٣) ومعنى الثج: نحر الهدي.

(٤) رواه الترمذي.

(٥) رواه البخاري.

(٦) رواه الترمذي.

رسول الله ﷺ: «**ما من محرم يضحي يومه يُلبي حتى تغيب الشمس إلا غابت ذنوبه فعاد كما ولدته أمه**»[1].

- وعن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «**ما أهلَّ مُهلٌّ قط إلا بشر ولا كبَّر مكبِّرٌ قط إلا بشر**، قيل: يا نبي الله: بالجنة؟ قال: «**نعم**»[2].

- وكذلك ما رواه سهل بن سعد أن النبي ﷺ قال: «**ما من مسلم يلبي إلا لبى من عن يمينه وشماله من حجر أو شجر أو مدر حتى تنقطع الأرض من هاهنا وهاهنا**»[3].

فإذا ما فرغ الملبي من التلبية يستحب أن يصلي على النبي ﷺ، جاء في إحياء علوم الدين ما نصه.

«إذا انعقد إحرامه بالتلبية المذكورة فيستحب أن يقول: «اللهم إني أريد الحج فيسره لي وأعني على أداء فرضه وتقبله مني، اللهم إني نويت أداء فريضتك في الحج فاجعلني من الذين استجابوا لك وآمنوا بوعدك واتبعوا أمرك واجعلني من وفدك الذين رضيت عنهم وارتضيت وقبلت منهم، اللهم فيسر لي أداء ما نويت من الحج، اللهم قد أحرم لك لحمي وشعري ودمي وعصبي ومخي وعظامي وحَرَّمتُ على نفسي النساء والطيب ولبس المخيط ابتغاء وجهك

---

(١) أخرجه ابن ماجه.

(٢) رواه الطبراني وسعيد بن منصور.

(٣) أخرجه ابن ماجه والبيهقي والترمذي والحاكم.

والدار الآخرة».

... ثم قال الإمام الغزالي:

يستحب تجديد التلبية في دوام الإحرام خصوصًا عند اصطدام الرفاق، وعند اجتماع الناس، وعند كل صعود وهبوط، وعند كل ركوب ونزول، رافعًا بها صوته بحيث لا يبح حلقه، ولا ينهر فإنه لا ينادي أصمَّ ولا غائبًا، كما ورد في الخبر، ولا بأس برفع الصوت بالتلبية في المساجد الثلاثة فإنها مظنة المناسك أعني المسجد الحرام ومسجد الخيف ومسجد الميقات، وأما سائر المساجد فلا بأس فيها بالتلبية من غير رفع صوت، وكان ﷺ إذا أعجبه شيء قال: **«لَبيكَ إنَّ العيشَ عَيشُ الآخرةِ»**[1].

فقد جاء من حديث ابن عباس أن رسول الله ﷺ وقف بعرفات فلما قال: **«لبيك اللهم لبيك قال: إنما الخير خير الآخرة»**[2].

دخول مكة المكرمة... وما يستحب لذلك:

تقع مكة ببطن وادٍ محاط بسور جبلي، طوله حوالي (٣) كيلو مترات وعرضه حوالي كيلو ونصف تقريبًا.

أسماؤها: من أسمائها: مكة، بكة، أم القرى، البلد الأمين؛ قال تعالى: ﴿ **وَهُوَ**

(١) أخرجه الشافعي في المسند.

(٢) أخرجه الحاكم.

﴿ٱلَّذِى كَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ عَنْهُم بِبَطْنِ مَكَّةَ﴾[1] وقال سبحانه: ﴿إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِى بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِّلْعَٰلَمِينَ ﴿٩٦﴾﴾[2] وقال جل شأنه: ﴿وَلِتُنذِرَ أُمَّ ٱلْقُرَىٰ وَمَنْ حَوْلَهَا ۚ وَٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱلْءَاخِرَةِ يُؤْمِنُونَ بِهِۦ ۖ وَهُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ ﴿٩٢﴾﴾[3].

- وقال تعالى: ﴿وَٱلتِّينِ وَٱلزَّيْتُونِ ﴿١﴾ وَطُورِ سِينِينَ ﴿٢﴾ وَهَٰذَا ٱلْبَلَدِ ٱلْأَمِينِ ﴿٣﴾﴾[4].

ويستحب عند دخول مكة:

(١) الاغتسال:

فعن ابن عمر رضي الله عنهما أنه كان يغتسل لدخول مكة، والأفضل أن يكون الاغتسال بذي طوى في أسفل مكة، ويسمى في وقتنا المعاصر «بالزاهر».

وفي إحياء علوم الدين يقول الإمام الغزالي: والاغتسالات المستحبة المسنونة في الحج تسعة: للإحرام من الميقات، ثم لدخول مكة ثم لطواف القدوم، ثم

---

(١) سورة الفتح آية: ٢٤.

(٢) سورة آل عمران آية: ٩٦.

(٣) سورة الأنعام آية: ٩٢.

(٤) سورة التين آية: ١-٣.

للوقوف بعرفة، ثم للوقوف بمزدلفة ثم ثلاثة أغسال لرمي الجمار الثلاث ولا غسل لرمي جمرة العقبة، ثم لطواف الوداع، ثم قال الغزالي: ولم ير الشافعي ﷺ في (المذهب) الجديد الغسل لطواف الزيارة ولطواف الوداع فتعود إلى سبعة».

... ويقول عند الدخول في أول الحرم وهو خارج مكة: «اللهم هذا حرمك وأمنك فحرم لحمي ودمي وشعري وبشري على النار وآمني من عذابك يوم تبعث عبادك واجعلني من أوليائك وأهل طاعتك».

(٢) أن يدخلها من الثنية العليا (ثنية كداء):

فيستحب دخول مكة من الثنية العليا فقد دخلها رسول الله صلوات الله وسلامه عليه من جهة المعلاة، وسواء كانت جهة طريق المحرم أو لم تكن فقد صح أن النبي ﷺ دخل منها فمن تيسر له ذلك فعله وإلا فعل ما يلائم حالته ولا شيء عليه.

(٣) التحفظ من إيذاء الناس:

عند دخول مكة المكرمة يتجنب المحرم مزاحمة الناس في تلك البقعة المباركة- أم القرى- وفي ذلك التوقيت، فيدخل خاشع القلب خاضع النفس متواضعًا لمولاه ذليلًا لربه سبحانه يرجو رحمته ويخشى عذابه؛ لأنه في حرمه، ومن يرد فيه بإلحاد بظلم يذقه الله من عذاب السعير، فيتوجه مخلصًا إلى بيت الله ويدعو بما يشاء، وقد كان رسول الله ﷺ يقول عند دخوله: «اللهم البلد بلدك والبيت بيتك جئت أطلب رحمتك وأؤم طاعتك متبعًا لأمرك، راضيًا بقدرك،

مبلغًا لأمرك، أسألك مسألة المضطر إليك، المشفق من عذابك أن تتقبلني، وتتجاوز عني برحمتك وأن تدخلني جنتك».

(٤) ثم يبادر المحرم بدخول المسجد الحرام:

لأن «النبي ﷺ بدأ به ولم يشتغل عنه بشيء حتى دخله فبدأ بالبيت فطاف به».

ثم يدخل من باب بني شيبة- باب السلام- ويقول في خشوع وتواضع مقدمًا رجله اليمنى في دخوله: «أعوذ بالله العظيم وبوجهه الكريم وسلطانه القديم من الشيطان الرجيم بسم الله والحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله اللهم اغفر لي ذنوبي وافتح لي أبواب رحمتك».

وإذا وقع نظره على البيت رفع يديه وقال: «اللهم زد هذا البيت تشريفًا وتعظيمًا وتكريمًا ومهابة وزد من شرفه وكرمه ممن حجه أو اعتمره تشريفًا وتكريمًا وتعظيمًا وبرًّا».

ثم يضيف هذا الدعاء: «اللهم أنت السلام ومنك السلام فحينا ربنا بالسلام».

وفي الإحياء للإمام الغزالي:

«إذا دخل المسجد الحرام فليدخل من باب بني شيبة وليقل: بسم الله، وبالله، ومن الله، وإلى الله، وفي سبيل الله وعلى ملة رسول الله ﷺ، فإذا قرب من البيت قال: الحمد لله وسلام على عباده الذين اصطفى، اللهم صلِّ على محمد عبدك ورسولك وعلى إبراهيم خليلك وعلى جميع أنبيائك ورسلك، وليرفع يديه

وليقل:

«اللهم إني أسألك في مقامي هذا في أول مناسكي أن تتقبل توبتي، وأن تتجاوز عن خطيئتي، وتضع عني وزري، الحمد لله الذي بلغني بيته الحرام الذي جعله مثابة للناس وأمنًا، وجعله مباركًا وهدى للعالمين، اللهم إني عبدك والبلد بلدك والحرم حرمك والبيت بيتك جئتك أطلب رحمتك وأسألك مسألة المضطر الخائف من عقوبتك الراجي لرحمتك الطالب مرضاتك... ثم تقصد الحجر الأسود بعد ذلك وتمسه بيدك اليمنى وتقبله وتقول: «اللهم أمانتي أديتها وميثاقي وفيته فاشهد لي بالموافاة»، فإن لم يستطع التقبيل وقف في مقابلته ويقول ذلك» أي: الدعاء السابق.

(٥) فإذا ما فعل ذلك- أي الدعاء- لا يصلي:

فتحية البيت الحرام الطواف، فيسارع إلى الحجر الأسود ويبدأ منه طواف يسمى بطواف القدوم وعندما يصل إلى الحجر الأسود فالأولى ألَّا يزاحم أحدًا عليه؛ فإن تمكن من الوصول إليه قَبَّله، وإن لم يتمكن استلمه بيده أو أشار إليه ثم يقف بجانبه (بمحاذاته) ويبدأ في الطواف.

أما إذا دخل البيت الحرام فوجد الصلاة المكتوبة مقامة، أو وجد زحامًا شديدًا أو خاف مزاحمة النساء في وقت مخصص لهن أو منع من الصلاة لعارض فإنه يبدأ بصلاة تحية المسجد أو الصلاة المكتوبة.

فائدة:

١- إذا لم يتمكن المحرم من دخول مكة قبل ركن الحج الأعظم «الوقوف

بعرفة» فليس عليه طواف القدوم؛ حيث إن الطواف الذي يفعله بعد الوقوف بعرفة هو طواف الإفاضة فإذا نوى به القدوم وقع عن طواف الإفاضة إذا كان في وقته.

٢- دخول الكعبة من الداخل:

من استطاع دخول الكعبة من الداخل فليفعل، ويصلي في أركانها وبالأخص عند الركنين اليمانيين؛ قال ابن عمر «دخل رسول الله ﷺ هو وأسامة بن زيد وبلال وعثمان بن طلحة، فأغلقوا عليهم، فلما فتحوا أخبرني بلال أن رسول الله ﷺ صلى في جوف الكعبة عند الركنين اليمانيين»[1].

ولكن.. من دخل الكعبة من الداخل فلابد أن يكون خاشعًا متواضعًا لقول أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها: «عجبًا للمرء المسلم إذا دخل الكعبة كيف يرفع بصره قِبَلَ السقف؟! يدع ذلك إجلالًا لله تعالى وإعظامًا، ودخل رسول الله ﷺ الكعبة ما خالف بصره موضع سجوده حتى خرج منها»[2].

---

(١) أخرجه الشيخان.

(٢) أخرجه البيهقي والحاكم.

من أركان الحج الطواف بالبيت

الطواف بالبيت الحرام ثلاثة أنواع:

طواف القدوم: ويسمى طواف التحية.

حكم الحج:

هو سنة عند الجمهور، واجب عند المالكية، وطواف القدوم تحية للكعبة للمحرم وغير المحرم بحيث لا يتعارض مع صلاة مكتوبة أو سنة راتبة أو أي صلاة أخرى فيصلي ما عليه ثم يطوف.

- فوائد:

١- الحائض والنفساء والمغمى عليه والمجنون والناسي كل هؤلاء قال العلماء لا طواف قدوم عليهم، إن طاف طواف قدوم فاته الحج.

- طواف الإفاضة:

حكمه:

وهو ركن بالإجماع فلو سقط بطل الحج؛ قال تعالى: ﴿ **وَلْيَطَّوَّفُواْ بِٱلْبَيْتِ ٱلْعَتِيقِ** ﴾[1].

---

(١) سورة الحج آية: ٢٩.

وقته:

يقع بعد الإفاضة من عرفات ومزدلفة؛ ولذا سمي طواف الإفاضة، ويسمى كذلك طواف الزيارة.؛ فيدخل وقت طواف الإفاضة بطلوع فجر يوم النحر (كما هو معمول به عند الحنفية والمالكية) وبمضي نصف ليلة النحر (عند الشافعي وأحمد) وذلك لأن النبي ﷺ أفاض[1] يوم النحر ثم رجع فصلى الظهر بمنى.[2] ولذلك من السنة الطواف في هذا اليوم.

- طواف الوداع:

سبب تسميته بذلك؛ لأنه لتوديع البيت.

ومن أسمائه طواف الصَّدَر:

لأنه يكون عند صدور الناس من مكة، وهذا الطواف لا رَمَل فيه[3]، وهو آخر ما يفعله الحاج عندما يريد السفر من مكة؛ لحديث ابن عباس: «أمر الناس أن يكون آخر عهدهم الطواف بالبيت إلا أنه خفف عن المرأة الحائض»[4].

وعن عمر ﷺ أنه قال: «آخر النسك الطواف بالبيت»[5].

---

(١) أفاض: أي طاف طواف الإفاضة.

(٢) أخرجه أحمد ومسلم وأبو داود.

(٣) الرَّمَل: أي الإسراع في المشي.

(٤) أخرجه الشيخان.

(٥) رواه مالك في الموطأ.

حكمه:

طواف الوداع مشروع؛ فقد قال النبي ﷺ: «**لا ينفرن أحد حتى يكون آخر عهده بالبيت**»[1].

وهو عند مالك وغيره سنة، لا دم على من تركه، وعند الحنفية والحنابلة وغيرهم واجب يلزم من تركه دم.

وقته:

بعد الانتهاء من جميع أعمال الحج ليكون الطواف بالبيت ورؤية الكعبة المشرفة هو آخر ما يقع عليه بصر الحاج وذلك تعظيمًا لبيت الله الحرام.

وقد أثر عن ابن عباس دعاء من المستحب أن يدعو به من يودع بيت الله الحرام وهو:

«اللهم إني عبدك، وابن عبدك، وابن أمتك، حَمَلْتَنِي على ما سخرت لي من خلقك، وسترتني في بلادك حتى بلغتني بنعمتك إلى بيتك، وأعنتني على أداء نسكي فإن كنت رضيت عني فازدد عني رضًا، وإلا فمن الآن فارض عني قبل أن تنأى عن بيتك داري، فهذا أوان انصرافي إن أذنت لي، غير مستبدل بك ولا ببيتك ولا راغب عنك، ولا عن بيتك، اللهم فأصحبني العافية في بدني، والصحة في جسمي، والعصمة في ديني وأحسن منقلبي، وارزقني

---

(١) رواه مسلم.

طاعتك ما أبقيتني، واجمع لي بين خيري الدنيا والآخرة إنك على كل شيء قدير».

والإمام الشافعي رضي الله عنه يحب أن يقال هذا الدعاء بين الركن والباب أي عند «الملتزم».

... هذا وللطواف شروط يجب توافرها حتى يكون صحيحًا، وكذلك له سنن ومكروهات سأبينها بعد بيان أنواعه تفصيليًّا بإذن الله، فأقول:

كيف يطوف الحاج؟

كيفية الطواف سواء كان طواف قدوم أو إفاضة أو وداع: يبدأ الطائف طوافه بمحاذاة الحجر الأسود يجعل الكعبة عن يساره قائلًا: «بسم الله الله أكبر اللهم إيمانًا بك وتصديقًا بكتابك ووفاءً بعهدك واتباعًا لسنة النبي ﷺ» فإذا ما أخذ في الطواف بعد ذلك فالمستحب في الأشواط الثلاثة الأولى **الرَّمَل وهو «الإسراع في المشي أثناء الطواف»** ويمشي في الأشواط الأربعة الباقية مشيًا عاديًّا فيكون مجموع الأشواط سبعة أشواط فإن كان مسنًا أو كان الحرم مزدحمًا فلا يرمل ويمشي، مشيًا عاديًّا.

ويستحب تقبيل الحجر الأسود عند الطواف فإن تعذر استلمه بيده، فإن تعذر لشدة زحام أشار إليه، وذلك للحديث الذي سيأتي قريبًا إن شاء الله.

يستحب للحاج أو الطائف:

الإكثار من الذكر والدعاء، ويتخير منهما ما ينشرح له صدره فيدعو به أو بما

شاء مما يحفظ فهو في أطهر البقاع والأماكن الموجودة على ظهر الأرض؛ فليناجِ ربه بما شاء فما خرج من القلب سيصل إلى الله تعالى، وهذه بعض الدعوات التي يمكن أن يستعين بها الطائف:

دعاء الشوط الأول

سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم، والصلاة والسلام على رسول الله ﷺ اللهم إيمانًا بك وتصديقًا بكتابك ووفاءً بعهدك واتباعًا لسنة نبيك وحبيبك ﷺ. اللهم إني أسألك العفو والعافية والمعافاة الدائمة في الدنيا والآخرة والفوز بالجنة والنجاة من النار.

ويقول بين الركنين في كل شوط: ﴿ **وَمِنْهُم مَّن يَقُولُ رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِى ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِى ٱلْآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ﴿٢٠١﴾** ﴾ وأدخلنا الجنة مع الأبرار يا عزيز يا غفار يا رب العالمين.

دعاء الشوط الثاني

اللهم إن هذا البيت بيتك، والحرم حرمك والأمن أمنك والعبد عبدك، وأنا عبدك وابن عبدك، وهذا مقام العائذ بك من النار فحرم لحومنا وبشرتنا على النار، اللهم حبِّب إلينا الإيمان وزينه في قلوبنا وكرِّه إلينا الكفر والفسوق والعصيان واجعلنا من الراشدين؛ اللهم قني عذابك يوم تبعث عبادك، وارزقني الجنة بغير حساب.

دعاء الشوط الثالث

اللهم إني أعوذ بك من الشك والشرك، والشقاق والنفاق وسوء الأخلاق وسوء المنظر والمنقلب في المال والأهل والولد، اللهم إني أسألك رضاك والجنة، وأعوذ بك من سخطك والنار، اللهم إني أعوذ بك من فتنة القبر وأعوذ بك من فتنة المحيا والممات.

دعاء الشوط الرابع

اللهم اجعله حجًّا مبرورًا وسعيًا مشكورًا وذنبًا مغفورًا وعملًا صالحًا مقبولًا وتجارةً لن تبور يا عالم ما في الصدور أخرجني يا الله من الظلمات إلى النور، اللهم إني أسألك موجبات رحمتك وعزائم مغفرتك والسلامة من كل إثم والغنيمة من كل بر والفوز بالجنة والنجاة من النار، رب قنعني بما رزقتني وبارك لي فيما أعطيتني واخلف عليَّ كل غائبة لي منك بخير.

دعاء الشوط الخامس

اللهم أظِلَّني تحت ظلِّ عرشك يوم لا ظل إلا ظلك ولا باقي إلا وجهك، واسقني من حوض نبيك محمد ﷺ، اللهم إني أسألك الجنة ونعيمها وما يقربني إليها من قول أو فعل أو عمل، وأعوذ بك من النار وما يقربني إليها من قول أو فعل أو عمل.

دعاء الشوط السادس

اللهم إن لك عليَّ حقوقًا كثيرة فيما بيني وبينك وحقوقًا فيما بيني وبين خلقك، اللهم ما كان لك منها فاغفره لي وما كان لخلقك فتحمَّله عني وأغنني بحلالك عن

حرامك وبطاعتك عن معصيتك وبفضلك عمَّن سواك يا واسع المغفرة، اللهم إن بيتك عظيم ووجهك كريم، وأنت يا الله حليم كريم عظيم تحب العفو فاعفُ عني.

دعاء الشوط السابع

اللهم إني أسألك إيمانًا كاملًا ويقينًا صادقًا ورزقًا واسعًا وقلبًا خاشعًا ولسانًا ذاكرًا وحلالًا طيبًا وتوبة نصوحًا وتوبة قبل الموت وراحة عند الموت ومغفرة ورحمة بعد الموت والعفو عند الحساب والفوز بالجنة والنجاة من النار برحمتك يا عزيز يا غفار، رب زدني علمًا وألحقني بالصالحين.

فوائد:

هل للطائف أن يقرأ القرآن؟

نعم للطائف أن يقرأ القرآن الكريم مما حفظ في طوافه أو بأي كيفية أخرى؛ فقد روي عن عائشة رضي الله عنها أن رسول الله ﷺ قال: «**إنما جعل الطواف بالبيت، وبين الصفا والمروة ورمي الجمار لإقامة ذكر الله ﷻ**»[1].

فيذكر الله سبحانه في الطواف، ومن الذكر قراءة القرآن الكريم.

هل للطواف فضل؟

يجيب عن هذا السؤال ابن عباس رضي الله عنه فقد روى عن الرسول ﷺ أنه قال: «**يُنَزِّل الله كل يوم على حجاج بيته الحرام عشرين ومائة رحمة: ستين للطائفين وأربعين**

(١) رواه أبو داود والترمذي.

للمصلين وعشرين للناظرين»[1].

صلاة ركعتين عند مقام الخليل:

عند انتهاء الطواف يصلي الطائف ركعتين عند مقام الخليل إبراهيم عليه وعلى نبينا أفضل الصلاة وأتم السلام ويتلو قول الحق سبحانه: ﴿ **وَٱتَّخِذُواْ مِن مَّقَامِ إِبْرَٰهِـۧمَ مُصَلًّى** ﴾[2].

وبهذا ينتهي الطواف.

هل يشترط في الطائف شيء؟

نعم لابد من توافر بعض الشروط في الطائف منها:

١- **الطهارة من الحدث**: سواء كان حدثًا أكبر- الغسل- أو حدثًا أصغر- الوضوء- أو حيضًا وما شابهه أو نجاسة. وهذا ما عليه الجمهور.

من الأدلة على ذلك: ما روي عن عائشة رضي الله عنها أن رسول الله ﷺ دخل عليها وهي تبكي فقال «**أنفست**»[3] قالت: نعم قال: «**إن هذا شيء كتبه الله على بنات آدم، فاقض ما يقضي الحاج غير أن لا تطوفي بالبيت حتى**

---

(١) رواه البيهقي.

(٢) سورة البقرة آية: ١٢٥.

(٣) أنفست: أي أحضت.

تغتسلي»[1].

ما روي عن ابن عباس أن النبي ﷺ قال: «**الطواف صلاة إلا أن الله تعالى أحلَّ فيه الكلام فمن تكلم فلا يتكلم إلا بخير**»[2].

يوضح ذلك الإمام الغزالي فيقول:

«وأما الطواف بالبيت: فاعلم أنه صلاة فأحضر في قلبك فيه من التعظيم والخوف والرجاء والمحبة... واعلم أنك بالطواف متشبه بالملائكة المقربين الحافين حول العرش الطائفين حوله، ولا تظنن أن المقصود طواف جسمك بالبيت بل المقصود طواف قلبك بذكر رب البيت حتى لا تبتدئ الذكر إلا منه كما تبتدئ الطواف من البيت وتختم بالبيت. واعلم أن الطواف الشريف هو طواف القلب بحضره الربوبية وأن البيت مثال ظاهر في عالم الملك لتلك الحضرة التي لا تشاهد بالبصر وهي عالم الملكوت كما أن البدن مثال ظاهر فقي عالم الشهادة للقلب الذي لا يشاهد بالبصر وهو في عالم الغيب وأن عالم الملك والشهادة مدرجة إلى عالم الغيب والملكوت لمن فتح الله له الباب. وإلى هذه الموازنة وقعت الإشارة بأن البيت المعمور في السموات بإزاء الكعبة فإن طواف الملائكة به كطواف الإنس بهذا البيت. ولما قصرت رتبة أكثر الخلق عن مثل

---

(١) رواه مسلم.

(٢) رواه الترمذي والدارقطني.

ذلك الطواف أمروا بالتشبه بهم بحسب الإمكان ووعدوا بأن «**من تشبه بقوم فهو منهم**»[1]- وقالت عائشة رضي الله عنها: «**إن أول شيء بدأ به النبي ﷺ حين قدم مكة أنه توضأ ثم طاف بالبيت**»[2].

وعند ذلك يتبادر هذا السؤال:

إذا كان الطائف مريضًا بـ سلس البول[3] والمستحاضة التي لا يرقأ دمها[4] فإنه يطوف ولا شيء عليه، فبعد أن يتوضأ يطوف وبعد أن تربط مكان الدم تطوف يدل على ذلك «أن عبدالله بن عمر جاءته امرأة تستفتيه فقالت: إني أقبلت أريد أن أطوف بالبيت حتى إذا كنت عند باب المسجد هرقت الدماء فرجعت حتى ذهب ذلك عني، ثم أقبلت حتى إذا كنت عند باب المسجد هرقت الدماء فرجعت حتى ذهب ذلك عني، ثم أقبلت حتى إذا كنت عند باب المسجد هرقت الدماء، فقال عبدالله بن عمر: إنما ذلك من الشيطان فاغتسلي ثم استثفري بثوب ثم طوفي»[5].

---

(١) أخرجه أبو داود.

(٢) أخرجه الشيخان.

(٣) مريضًا بـ سلس البول: أي من لا يمسك بوله.

(٤) يرقأ دمها: أي لا يجف ولا ينقطع دمها.

(٥) رواه الإمام مالك.

٢- ستر العورة: عند الجمهور، لحديث: «**لا يحج بعد العام مشرك ولا يطوف بالبيت عريان**»[١].

وكان ذلك قبل حجة الوداع سنة تسع من الهجرة في السنة التي حج فيها الصديق أبو بكر ﷺ بالناس بأمر من رسول الله صلوات الله وسلامه عليه.

٣- النية لازمة في طواف الوداع وطواف التطوع بخلاف طواف الإفاضة وطواف العمرة؛ فالنية ليست شرطًا فيهما عند العلماء.

٤- يشترط كون الطواف سبعة أشواط تبدأ بمحاذاة الحجر الأسود وتنتهي إليه فلو ترك الطائف خطوة من الأشواط السبع لم يحسب طوافه؛ ولو شك الطائف في عدد الأشواط يبني على الأقل؛ كأن يشك هل الأشواط ثلاثة أو أربعة؛ فهي ثلاثة حتى يتيقن أنه طاف سبعة أشواط كاملة دون نقص.

٥- كون الطواف داخل المسجد الحرام؛ فلا يطوف خارجه فإن هذا غير جائز بالإجماع، ويكون الطواف أيضًا من خارج حجر إسماعيل عليه السلام أي من ورائه؛ يقول ابن عباس: «من طاف بالبيت فليطف وراء الحجر»[٢]... وهذا ما عليه الجمهور فقد قال الأئمة مالك والشافعي وأحمد: يشترط لصحة الطواف كونه خارج الحجر والشاذروان. (الشاذروان: بناء ملاصق للكعبة شرفها الله

---

(١) رواه الشيخان.

(٢) رواه البخاري.

يثبت به حلق الكسوة الخاصة بها)؛ وذلك لأنها من البيت، وعليه:

- من طاف ماشيًا على الشاذروان لم يصح طوافه وعليه أن يعيد هذا الشوط لأن الشاذروان من البيت والمطلوب الطواف بالبيت وليس في البيت؛ فالله تعالى يقول ﴿ وَلْيَطَّوَّفُواْ بِٱلْبَيْتِ ٱلْعَتِيقِ ﴾[1]. ولكن من المستحب الاقتراب من البيت إن أمكن ذلك.

٦- يبدأ طوافه من الحجر الأسود ويجعله عن يمينه والبيت عن يساره؛ لأن النبي صلوات الله وسلامه عليه فعل ذلك، وكان يقول: «**خذوا عني مناسككم**»[2].

٧- كذلك لابد من الموالاة بين الأشواط:

وذلك عند الإمامين مالك وأحمد، ومعنى ذلك: لا يفصل الطائف بين الأشواط فصلًا طويلًا إلا أن يكون لعذر، ولا شيء في الفصل اليسير، ومن أحكام ذلك:

إذا أقيمت الصلاة وهو في الطواف النفل قال العلماء: يستحب له قطع الطواف للصلاة، وإن كان الطواف فرضًا كره قطعه.

إذا عرضت حاجة ضرورية للطائف أثناء طوافه قال العلماء: له أن يقطع

---

(١) سورة الحج آية: ٢٩.

(٢) سبق تخريجه.

الطواف ويقضي حاجته ثم يبني على ما سبق.

إذا أحدث الطائف[1] أثناء الطواف قال العلماء: لا يبطل طوافه، وعليه بعد الوضوء أن يكمل طوافه ويبني على ما مضى.

من سنن الطواف بالبيت:

١- المشي من القادر عليه:

فهو عند المالكية والحنفية واجب على القادر جائز لغير القادر فله أن يركب أو أن يحمل فإن ركب أو حمل صح طوافه وعليه دم.

وعند الإمام أحمد: إذا ركب الطائف أثناء طوافه ولا عذر له بطل طوافه؛ لأن المشي عنده شرط.

وعند الإمام الشافعي: طواف الماشي أفضل وطواف الراكب جائز؛ واستشهد بأن النبي ﷺ طاف راكبًا، ولأن الله تعالى أمر بالطواف مطلقًا من غير تقيد بالمشي.

٢- الاضطباع في الطواف:

معنى الاضطباع للرجل: جعل وسط الرداء تحت الإبط الأيمن وطرفيه على الكتف الأيسر، وهو سنة عند جمهور العلماء، ودليله: «أن النبي ﷺ طاف بالبيت

---

(١) أي فقد وضوءه.

مضطبعًا وعليه برد أخضر»[1].

وعن ابن عباس رضي الله عنهما: أن النبي ﷺ وأصحابه اعتمروا من الجعرانة فاضطبعوا أرديتهم تحت آباطهم وقذفوها على عواتقهم اليسرى»[2].

والنساء ليس عليهن اضطباع ولا رمل؛ أما الاضطباع فلأن النساء يجب ستر جميع جسدهن؛ وأما الرمل فلقول ابن عمر رضي الله عنهما: «ليس على النساء سعي بالبيت[3] ولا بين الصفا والمروة»[4].

حكمة الاضطباع:

وحكمة الاضطباع أنه يعين على الرَّمَل في الطواف.

٣- الرمل في الطواف:

سبق أن عرفنا الرمل بأنه الإسراع في المشي مع تقارب الخطوات وتحريك المنكبين[5].

حكمه: سنة في الأشواط الثلاثة الأولى بالإجماع، والثابت أن النبي ﷺ رمل في حجة

---

(١) أخرجه الترمذي وغيره.

(٢) رواه أحمد وأبو داود.

(٣) سعي بالبيت: أي رمل.

(٤) رواه البيهقي

(٥) المنكبين: أي الكتفين.

الوداع من الحجر إلى الحجر[1] في الأشواط الثلاثة الأول ومشى أربعًا.

فعن ابن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ رمل من الحجر الأسود إلى الحجر الأسود ثلاثًا ومشى أربعًا»[2].

ويكون الرمل في طواف العمرة، وفي كل طواف يعقبه سعي في الحج.

حكمة الرمل:

إظهار قوة المسلمين، ويتضح ذلك مما رواه ابن عباس رضي الله عنهما قال: قدم رسول الله ﷺ مكة وقد وهنتهم حمى يثرب[3] فقال المشركون: إنه يقدم عليكم قوم قد وهنتهم الحمى ولقوا منها شرًّا، فأطلع الله سبحانه نبيه ﷺ على ما قالوا فأمرهم أن يرملوا الأشواط الثلاثة وأن يمشوا بين الركنين فلما رأوهم رملوا قالوا: هؤلاء الذين ذكرتم أن الحمى قد وهنتهم...؟! هؤلاء أجلد منا»، قال ابن عباس: ولم يأمرهم أن يرملوا الأشواط كلها إلا إبقاء عليهم[4].

ولقد بدا لعمر ﷺ أن يدع الرمل بعدما انتهت الحكمة منه ومَكَّن الله للمسلمين في الأرض ونشر دينه إلا أنه أبقاه على ما كان عليه في العهد النبوي

---

(١) من الحجر إلى الحجر: أي الحجر الأسود.

(٢) رواه أحمد ومسلم.

(٣) وهنتهم حمى يثرب: أي أضعفتهم حمى المدينة.

(٤) رواه الشيخان وأبو داود.

حتى يعلم من سيأتي من الأجيال المسلمة القادمة هذه الأحداث، فعن زيد بن أسلم عن أبيه قال: سمعت عمر بن الخطاب ﷺ يقول: فيم الرملانُ اليوم والكشف عن المناكب وقد أطأ الله الإسلام[1] ونفى الكفر وأهله، ومع ذلك لا ندع شيئًا كنا نفعله على عهد رسول الله ﷺ.

٤- الطواف واستقبال الحجر الأسود:

من المستحب أن يستقبل الطائف الحجر الأسود بوجهه ويقبله من غير صوت يظهر في القُبلة ويبكي إن وجد بكاءً ويهلل ويكبر ويدعو بما شاء من خيري الدنيا والآخرة؛ فإن لم يستطع الاستلام أشار بيده إليه أو بعصا في يده، ولا يزاحم النساء أو يلاحقهن عند الحجر فإن وجد الازدحام فالسنة في ذلك الإشارة من بعيد ويقبل ما أشار به.

وهنا يجدر الإشارة إلى أمر هام ربما يترتب عليه بطلان الطواف كله وهو:

يجب أن يلاحظ الطائف أن يكون كلُّ الحجر الأسود بمساواة جسمه بحيث لا يكون شيء من الحجر ناحية شماله فيكون بذلك قد ترك جزءًا لم يطف به فيبطل بذلك الطواف.

الأدلة على ذلك:

١- عن ابن عمر رضي الله عنهما أنه قال: «**استقبل رسول الله ﷺ الحجر**

---

(١) وقد أطأ الله الإسلام: أي ثبته.

واستلمه ثم وضع شفتيه يبكي طويلًا فالتفت فإذا عمر فقال: «يا عمر هنا تسكب العبرات»[1].

٢- وعن عابس بن ربيعة عن عمر ﷺ أنه جاء إلى الحجر الأسود فقبله فقال: «**إني أعلم أنك حجر لا تضر ولا تنفع ولولا أني رأيت رسول الله ﷺ يقبلك ما قبلتك**»[2].

٣- وعن عمر ﷺ أن النبي ﷺ قال له «**يا عمر إنك رجل قوي فلا تزاحم على الحجر فتؤذي الضعيف إن وجدت خلوة فاستلمه وإلا فاستقبله فهلل وكبر**»[3].

ماذا يقول الطائف عند استلامه الحجر الأسود أو الإشارة إليه في كل شوط من أشواط الطواف؟

يقول ما ورد في ذلك وهو: «بسم الله الله أكبر، اللهم إيمانًا بك وتصديقًا بكتابك ووفاءً بعهدك واتباعًا لسنة نبيك محمد ﷺ».

٥- يسن استلام الركن اليماني:

فعن ابن عمر رضي الله عنهما: «لم أر النبي ﷺ يمس من الأركان إلا اليمانيين»، وقال: «ما تركت استلام هذين الركنين (اليماني، والحجر الأسود)

---

(١) أخرجه الحاكم.

(٢) أخرجه السبعة، وقال الترمذي حسن صحيح.

(٣) أخرجه الشافعي وأحمد.

منذ رأيت رسول الله ﷺ يستلمهما في شدة ولا في رخاء»[1].

ويستلمهما الطائف لأن فيهما فضيلة ليست لغيرهما؛ فالحجر الأسود من القواعد التي رفعها إبراهيم عليه السلام قال تعالى: ﴿وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿١٢٧﴾﴾[2].

وكذلك يستلم الحجر الأسود ويقبله حيث إنه قد جعل مبتدأ الطواف ومنتهاه.

فضل الحجر الأسود:

قال الإمام الغزالي:

جاء في الخبر: «إن الحجر الأسود ياقوتة من يواقيت الجنة وإنه يبعث يوم القيامة له عينان ولسان ينطق بهما، يشهد لكل من استلمه بحق وصدق».

وكان ﷺ يقبله كثيرًا، وروي أنه ﷺ سجد عليه وكان يطوف على الراحلة فيضع المِحْجَن عليه ثم يقبل طرف المِحْجَن، وقبله عمر ثم قال: «إني أعلم أنك حجر لا تضر ولا تنفع ولولا أني رأيت رسول الله ﷺ يقبلك ما قبلتك ثم بكى حتى علا نشيجه فالتفت إلى ورائه فرأى عليًا كرم الله وجهه: فقال يا أبا الحسن، «هاهنا تسكب العبرات وتستجاب الدعوات» فقال عليّ رضي الله عنه: يا أمير المؤمنين بل هو يضر

---

(١) رواهما البخاري ومسلم.

(٢) سورة البقرة آية: ١٢٧.

وينفع، قال: وكيف؟ قال: إن الله تعالى لما أخذ الميثاق على الذرية كتب عليهم كتابًا ثم ألقمه هذا الحجر فهو يشهد للمؤمن بالوفاء ويشهد على الكافر بالجحود، قيل: فذلك هو معنى قول الناس عند الاستلام: اللهم إيمانًا بك وتصديقًا بكتابك ووفاءً بعهدك، ولقد قرر الغزالي هذه الحقيقة حينما قال: وأما الاستلام: فاعتقد عنده أنك مبايع لله ﷻ على طاعته فصمم عزيمتك على الوفاء ببيعتك فمن غدر في المبايعة استحق المقت، وقد روى عبدالله بن عمرو ﷺ عن ﷺ أنه قال عن الحجر الأسود: «**يمين الله ﷻ في الأرض يصافح بها خلقه**»(1).

وأما الركن اليماني المقابل للحجر الأسود ففيه فضيلة واحدة وهي أنه من القواعد التي رفعها سيدنا إبراهيم عليه السلام أيضًا ولذا فإنه يستلم فقط.

فقد روي عن ابن عمر رضي الله عنهما أنه أخبر بقول عائشة رضي الله عنها: «إن الحجر بعض من البيت».

فقال ابن عمر: «والله إني لأظن عائشة إن كانت سمعت هذا من رسول الله ﷺ إني أظن رسول الله ﷺ لم يترك استلامهما إلا أنهما ليسا على قواعد البيت ولا طاف الناس وراء الحجر إلا لذلك».

٦- كذلك من سنن الطواف الذكر والدعاء:

فقد ورد في ذلك الكثير (وقد سبق ذلك عندما تحدثنا عن كيفية طواف الحاج).

---

(١) أخرجه الطبراني في الأوسط.

٧- صلاة ركعتين عند المقام:

وقد صلى المصطفى صلوات الله وسلامه عليه خلف المقام ثم أتى الحجر فاستلمه.

فقد روي عن ابن عمر قال: قدم النبي ﷺ فطاف بالبيت سبعًا وصلى خلف المقام ركعتين ثم خرج إلى الصفا وقد قال تعالى: ﴿ **لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ** ﴾[1]، ويسن أن يقرأ المصلي في الركعة الأولى: ﴿ **قُلْ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلْكَـٰفِرُونَ ۝** ﴾[2]وفي الثانية ﴿ **قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝** ﴾[3] فقد جاء ذلك في حديث رواه مسلم.

وقت أداء الصلاة: تؤدى هذه الصلاة في أي وقت شاءه الطائف، يؤيد ذلك ما جاء في الحديث الشريف: «**يا بني عبد مناف لا تمنعوا أحدًا طاف بهذا البيت وصلى أية ساعة شاء من ليل أو نهار**»[4].

لمحات: يقول أ.د زغلول النجار عن أسرار الصلاة في مقام إبراهيم: «والصلاة في مقام إبراهيم تذكر بجهاد الأنبياء والمرسلين وبمقام الصالحين عند

---

(١) سورة الأحزاب آية: ٢١.

(٢) سورة الكافرون آية: ١.

(٣) سورة الإخلاص آية: ١.

(٤) أخرجه الشافعي وأحمد والثلاثة، وصححه الترمذي.

رب العالمين».

والصلاة خلف المقام يصليها كُلّ مَنْ حج عن غيره كأن حج عن صبي أو عن مريض فيجوز في هذه الصلاة الإنابة..

- يستحب للطائف الدعاء خلف المقام عقب أدائه صلاة ركعتين بما شاء ويطلب من الله للدنيا وللآخرة، ومن الأدعية عند مقام إبراهيم عليه السلام:

اللهم إنك تعلم سري وعلانيتي فاقبل معذرتي، وتعلم حالتي فأعطني سؤلي، وتعلم ما في نفسي فاغفر لي ذنوبي، اللهم إني أسألك إيمانًا يباشر قلبي ويقينًا صادقًا حتى أعلم أنه لا يصيبني إلا ما كتب لي، رضِّني منك بما قسمت لي، أنت وليي في الدنيا والآخرة توفني مسلمًا وألحقني بالصالحين، اللهم لا تدع لنا في مقامنا هذا ذنبًا إلا غفرته ولا همًّا إلا فرَّجته ولا حاجة إلا قضيتها ويسَّرتها، فيسِّر أمورنا واشرح صدورنا ونوِّر قلوبنا واختم بالصالحات أعمالنا، اللهم توفنا مسلمين وأَحْيِنَا مسلمين وألحقنا بالصالحين غير خزايا ولا مفتونين».

يقول الإمام الغزالي:

«وليدعُ بعد ركعتي الطواف وليقل: اللهم يسر لي اليسرى، وجنبني العسرى، واغفر لي في الآخرة والأولى، واعصمني بألطافك حتى لا أعصيك، وأعني على طاعتك بتوفيقك وجنبني معاصيك، واجعلني ممن يحبك ويحب ملائكتك ورسلك ويحب عبادك الصالحين، اللهم حببني إلى ملائكتك ورسلك وإلى عبادك الصالحين، اللهم فكما هديتني إلى الإسلام فثبتني عليه بألطافك

وولايتك واستعملني لطاعتك وطاعة رسولك، وأجرني من مضلات الفتن».

يقول أ.د زغلول النجار عن أسرار الطواف حول الكعبة: «الطواف حول الكعبة يذكر بضرورة الانتظام مع حركة الكون في خضوعه لأوامر الله تعالى وانصياعه لقوانين هذا الخالق العظيم وسننه في عبادة وذكر دائمين؛ كما أن بداية الطواف ونهايته تؤكدان بداية الأجل ونهايته، وهي حقيقة يغفل عنها كثير من الناس».

جواز المرور بين يدي المصلي في الحرم

يجوز أن يمر الناس أمام المصلي في المسجد الحرام رجالًا كانوا أو نساء- بدون كراهة؛ فقد روي عن كثير بن كثير عن المطلب بن وداعة عن بعض أهله عن جده أنه رأى النبي ﷺ يصلي مما يلي بني سهم، والناس يمرون بين يديه وليس بينهما سترة.

قال سفيان بن عيينة: «ليس بينه وبين الكعبة سترة»[1].

هل يطوف الرجال مع النساء؟

نعم يطوف الرجال مع النساء؛ فقد جاء عن عمرو بن علي عن عطاء لما منع هشام النساء الطواف مع الرجال قال: كيف يمنعهن وقد طاف نساء النبي ﷺ مع الرجال؟ قلت: بعد الحجاب أو قبل؟ قال: إي لعمري لقد أدركته بعد

(١) رواه أبو داود والنسائي وابن ماجه.

الحجاب قلت: كيف يخالطن الرجال؟ قال: لم يكنَّ يخالطن الرجال كانت عائشة تطوف حَجْرة[1] من الرجال لا تخالطهم، فقالت امرأة: انطلقي نستلم يا أم المؤمنين، قالت: عنك! وأبت، فكن يخرجن متنكرات بالليل فيطفن مع الرجال، ولكنهن كن إذا دخلن البيت قمن حتى يدخلن وَأُخْرِجَ الرجالُ»[2] وكنت آتي عائشة أنا وعبيد بن عمير وهي مجاورة في جوف ثَبِير قلت: وما حجابها؟ قال: هي في قبة تركية لها غشاء وما بيننا وبينها غير ذلك ورأيت عليها درعًا موردًا».

وعن أم سلمة قالت: شكوت إلى رسول الله ﷺ أني أشتكي فقال: «**طوفي من وراء الناس وأنت راكبة**» فطفت ورسول الله ﷺ حينئذ يصلي إلى جنب البيت وهو يقرأ: ﴿وَٱلطُّورِ ۝١ وَكِتَٰبٖ مَّسۡطُورٖ ۝٢﴾[3] »[4].

هل يطوف بالبيت من به مرض معدي؟

لم يذهب الحاج إلى بيت الله الحرام إلا لتأدية مناسك الحج وشعائره فلا ينبغي أن يؤذي المسلمين، فمن كان به مرض معدي- كالجذام مثلًا- فعليه أن

---

(١) ومعنى حَجْرة: في ناحية منفردة.

(٢) رواه البخاري.

(٣) سورة الطور آية: ١-٢.

(٤) رواه البخاري.

يلزم بيته؛ فقد روي عن عمر بن الخطاب ﷺ أنه رأى امرأة مجذومة تطوف بالبيت فقال لها: يا أمة الله، لا تؤذي الناس؛ لو جلست في بيتك؟! ففعلت.. ثم مر بها رجل بعد ذلك فقال لها: إن الذي نهاك قد مات[1] فاخرجي فقالت: ما كنت لأطيعه حيًّا وأعصيه ميتًا.

ماذا يفعل الحاج بعدما ينتهي من الطواف؟

إذا انتهى الطائف من طوافه وأكرمه الله بصلاة ركعتين عند مقام إبراهيم الخليل ﵇ فله أن يشرب من ماء زمزم فيستحب له ذلك فقد ثبت أن رسول الله صلوات الله وسلامه عليه شرب من ماء زمزم وقال: «**إنها مباركة؛ إنها طعام طعم**»[2]. وعن ابن عباس قال: «سقيت رسول الله ﷺ من زمزم فشرب وهو قائم»[3].

١- يسن عند الشرب:

- أن ينوي بشربه ما يريد من أمور الدنيا والآخرة.

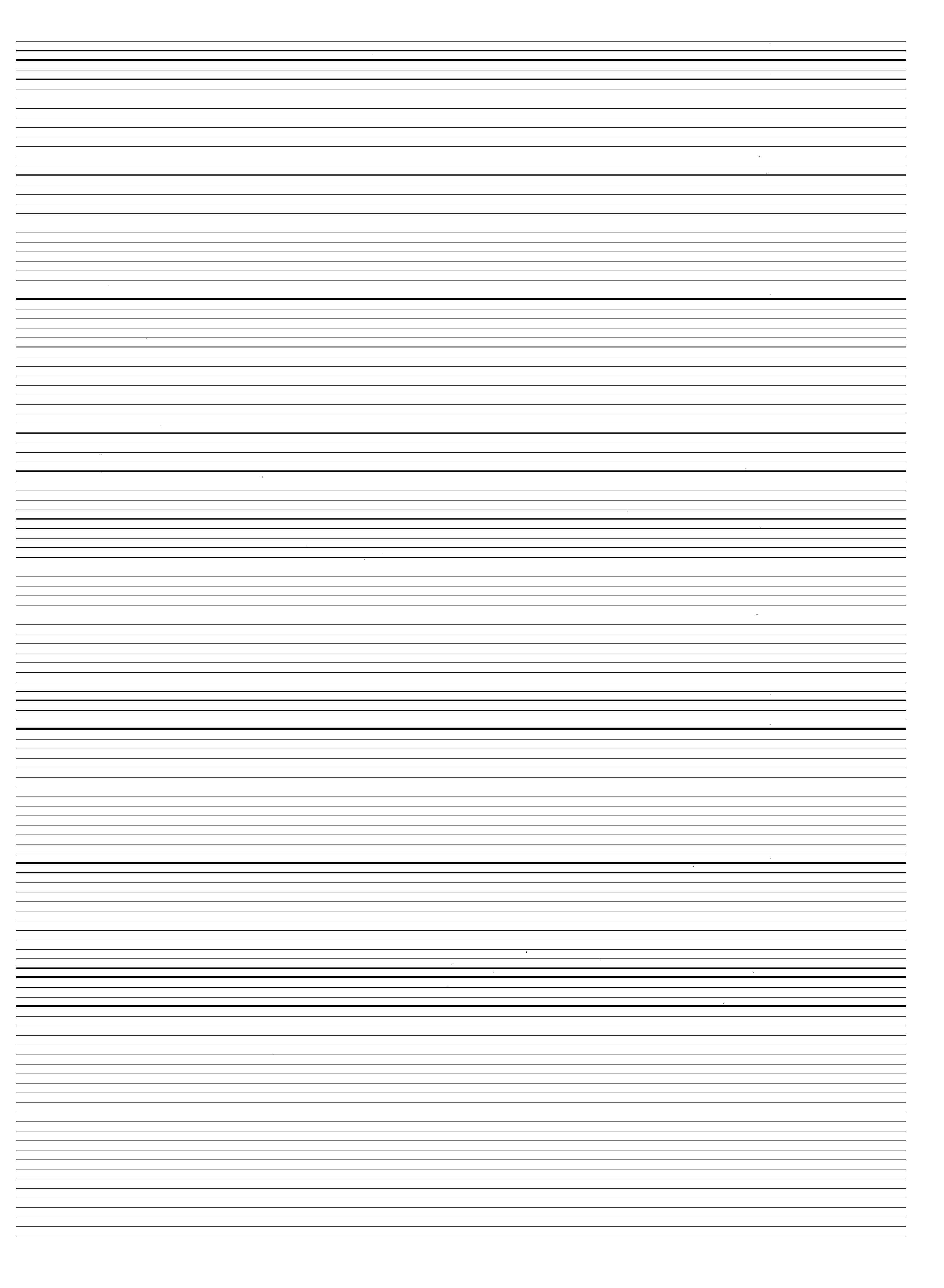
- أن يتوجه عند الشرب إلى الكعبة بعد الانتهاء من الشرب ويدعو الله بما يشاء، وهناك دعاء قاله ابن عباس وهو: «اللهم إنّي أسألك علمًا نافعًا، ورزقًا واسعًا، وشفاء من كل داء».

---

(١) يقصد أمير المؤمنين عمر بن الخطاب.

(٢) أخرجه مسلم.

(٣) متفق عليه.



حركة موجبة، حتى في داخل كل خلية حية تتحرك حركة دائرية. البروتوبلازم يتحرك حركة دائرة في نفس الاتجاه، الأرض تدور حول الشمس والقمر يدور حول الأرض، والمجموعة الشمسية تدور حول مركز المجرة، والمجرة تدور حول مركز تجمع مجري، والتجمع المجري يدور حول مركز للكون لا يعلمه إلا الله، وكل هذه الحركات لها نفس اتجاه الطواف حول الكعبة.

ومن الغريب أيضًا في كافة أجساد الكائنات الحية، وهي تتكون من البروتينات، وهي جزيئات معقدة للغاية لبناتها الأحماض الأمينية، وهي مكونة من خمسة عناصر هي (الكربون، الهيدروجين، النتروجين، الأكسجين، الكبريت) هذه العناصر تترتب حول ذرة الكربون؛ إما ترتيبًا يمانيًّا أو يساريًّا، ووجد العلماء أن هذا الترتيب في كافة أجساد الكائنات الحية يترتب ترتيبًا يساريًّا؛ أي في نفس اتجاه الطواف حول الكعبة.

فمن الغريب أنه إذا مات الكائن الحي فإن ذرات الأحماض الأمينية تعاود ترتيب نفسها ترتيبًا يمانيًّا بنسب ثابتة محددة تمكن العلماء من تحديد لحظة وفاة هذا الكائن الحي؛ فالكون كله من أدق دقائقه إلى أكبر وحداته يدور معاكسًا لاتجاه عقارب الساعة وهو نفس اتجاه الطواف حول الكعبة؛ ولذلك فإننا نعتبر أن الطواف حول الكعبة هو سنة فطرية فطر الله الكون عليها وأراد الله من عباده المؤمنين أن يخضعوا لهذا الناموس الكوني فيتفقوا مع أجزاء الكون في هذه الحركة التي يجب أن يقوم بها المسلم ولو مرة واحدة في حياته، إن كان قادرًا على

ذلك...

٤- ماذا يفعل الحاج عند الملتزم؟

- المراد بالملتزم هو جزء من البناء الواقع بين الحجر الأسود وباب الكعبة، ويحرص الناس على التزامه أثناء الطواف وهذا من الخطأ.

٥- حكم الدعاء عند الملتزم:

- يستحب الدعاء عنده؛ لما روي عن ابن عباس أنه كان يلتزم ما بين الركن والباب وكان يقول: ما بين الركن والباب يدعى الملتزم، لا يلزم ما بينهما أحد يسأل الله شيئًا إلا أعطاه الله إياه.[1]

- ويستحب أن يضع المُحْرِم صدره وبطنه وخده الأيمن على حائط البيت، ويبسط يديه على الجدار جاعلًا اليمنى جهة- الباب والأخرى جهة الحجر، ويتعلق بأستار الكعبة ويدعو بما أحب من خيري الدنيا والآخرة.

يقول الإمام الغزالي:

«إذا تم الطواف سبعًا فليأتِ الملتزم وهو بين الحجر والباب وهو موضع استجابة الدعوة، وليلتزق بالبيت وليعلق بالأستار وليلصق بطنه بالبيت، وليضع عليه خده الأيمن وليبسط عليه ذراعيه وكفيه وليقل:

«اللهم يا رب البيت العتيق أعتق رقبتي من النار وأعذني من الشيطان

---

(١) رواه البيهقي.

الرجيم، وأعذني من كل سوء، وقنعني بما رزقتني وبارك لي فيما آتيتني، اللهم إن هذا البيت بيتك والعبد عبدك، وهذا مقام العائذ بك من النار، اللهم اجعلني أكرم وفدك عليك» ثم ليحمد الله كثيرًا في هذا الموضع، وليصلِّ على رسوله ﷺ وعلى جميع الرسل كثيرًا، وليدعُ بحوائجه الخاصة وليستغفر من ذنوبه. وكان بعض السلف في هذا الموضع يقول لمواليه: «تنحوا عني حتى أُقرَّ لربي بذنوبي». ولكن على من يفعل ذلك أن يصحح نيته؛ فمن تعلق والتزق ماذا يقصد بذلك؟ .. هل التعلق والالتزاق نفسه يفيد؟.. يقول الإمام الغزالي في ذلك:

وأما التعلق بأستار الكعبة والالتصاق بالملتزم فلتكن نيتك في الالتزام طلب القرب حبًّا وشوقًا للبيت ولرب البيت وتبركًا بالمماسة، ورجاء للتحصن من النار في كل جزء من بدنك لا في البيت، ولتكن نيتك في التعلق بالستر الإلحاح في طلب المغفرة وسؤال الأمان كالمذنب المتعلق بثياب من أذنب إليه المتضرع إليه في عفوه عنه المقر له أنه لا ملجأ له منه إلا إليه ولا مفزع له إلا كرمه وعفوه وأنه لا يفارق ذيله إلا بالعفو وبذل الأمن في المستقبل.

٦- دعاءُ الملتزم:

ومن الأدعية الواردة:

«اللهم يا رب البيت العتيق أعتق رقابنا ورقاب آبائنا وأمهاتنا وأولادنا من النار، يا ذا الجود والكرم والفضل والمن والعطاء والإحسان، اللهم أحسن عاقبتنا في الأمور كلها وأجرنا من خزي الدنيا وعذاب الآخرة، اللهم إني عبدك

وابن عبدك، واقف تحت بابك، ملتزم بأعتابك، متذلل بين يديك أرجو رحمتك وأخشى عذابك، يا قديم الإحسان، اللهم إني أسألك أن ترفع ذكري وتضع وزري وتُصلح أمري وتطهر قلبي وتنوِّر لي في قبري وتغفر لي ذنبي، وأسألك الدرجات العلا من الجنة آمين.

من أركان الحج السعي بين الصفا والمروة

- **يراد بالصفا**: مكان عالٍ في أصل جبل يسمى بجبل أبي قبيس طوله حوالي ستة أمتار، وعرضه ثلاثة أمتار وارتفاعه مترين.

- **ويراد بالمروة**: مكان مرتفع في أصل جبل قُعَيقعان قرب باب السلام طوله أربعة أمتار وعرضه مترين وارتفاعه مترين كذلك.

- بين الصفا والمروة طريق يسمى المسعى.

- عدد مرات السعي بين الصفا والمروة سبع كعدد أشواط الطواف حول الكعبة المشرفة.

- كل شوط يبدأ- بما بدأ الله به في كتابه- بالصفا وينتهي بالمروة؛ قال تعالى: **﴿ إِنَّ ٱلصَّفَا وَٱلْمَرْوَةَ مِن شَعَآئِرِ ٱللَّهِ ۖ فَمَنْ حَجَّ ٱلْبَيْتَ أَوِ ٱعْتَمَرَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَن يَطَّوَّفَ بِهِمَا ﴾**[1].

مشروعية السعي بين الصفا والمروة:

ثبت سعي النبي ﷺ وأصحابه من بعده بالكتاب بآية: **﴿ إِنَّ ٱلصَّفَا وَٱلْمَرْوَةَ مِن شَعَآئِرِ ٱللَّهِ ۖ فَمَنْ حَجَّ ٱلْبَيْتَ أَوِ ٱعْتَمَرَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَن يَطَّوَّفَ بِهِمَا ۚ وَمَن تَطَوَّعَ خَيْرًا فَإِنَّ ٱللَّهَ شَاكِرٌ عَلِيمٌ ﴿١٥٨﴾ ﴾**[2] وبالسنة: بقول رسول الله ﷺ: **«اسعوا**

---

(١) سورة البقرة آية: ١٥٨.

(٢) سورة البقرة آية: ١٥٨.

فإن الله كتب عليكم السعي»[1] وقال ﷺ: «**كتب عليكم السعي فاسعوا**»[2] هذا وفي السعي بينهما من الأسرار الروحية الكثير والكثير ... من ذلك:

أن السعي بين الصفا والمروة في فناء البيت: يضاهي تردد العبد بفناء دار الملك جائيًا وذاهبًا مرة بعد أخرى إظهارًا للخلوص في الخدمة ورجاء للملاحظة بعين الرحمة كالذي دخل على الملك وخرج وهو لا يدري ما الذي يقضي به الملك في حقه من قبول أو رد؛ فلا يزال يتردد على فناء الدار مرة بعد أخرى يرجو أن يرحم في الثانية إن لم يرحم في الأولى، وليتذكر عند تردده بين الصفا والمروة تردده بين كفتي الميزان في عرصات القيامة وليمثل الصفا بكفة الحسنات والمروة بكفة السيئات، وليتذكر تردده بين الكفتين ناظرًا إلى الرجحان والنقصان مترددًا بين العذاب والغفران.

حكم السعي:

أما حكمه.. فقد اختلف الأئمة والفقهاء في ذلك ما بين كونه:

١- (ركن من أركان الحج) فمن تركه بطل حجه ولا يجبر بدم، واستدلوا بالأدلة السابقة، وأصحاب هذا المذهب أو الرأي هم: ابن عمر وجابر وعائشة من الصحابة، ومالك والشافعي وأحمد من الفقهاء.

---

(١) رواه الشافعي وأحمد والدارقطني.

(٢) أخرجه أحمد.

٢- (سنة) لا يجب بتركه شيء، واستدلوا بقوله تعالى: ﴿ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَن يَطَّوَّفَ بِهِمَا ﴾[1] ونفي الحرج عن فاعله دليل على عدم وجوبه، وهذا هو رتبة المباح، وثبتت سنية السعي بقوله تعالى: ﴿ مِن شَعَآئِرِ ٱللَّهِ ﴾[2].

- وكذلك استدلوا من المعقول فقالوا: السعي نسك له عدد، لا يتعلق بالبيت فلم يكن ركنًا كالرمي.

٣- (واجب) وليس بركن؛ فلا يبطل الحج أو العمرة بتركه لكن إذا تركه وجب عليه دم. والقائلون بذلك هم: أبو حنيفة والثوري والحسن.

شروط السعي بين الصفا والمروة:

١- أن يكون السعي بين الصفا والمروة بعد الطواف.

٢- أن يكون السعي سبعة أشواط.

٣- أن يبدأ بالصفا ويختم بالمروة.

٤- أن يسعى في المسعى جميعه (أي الطريق الممتد بين الصفا والمروة فقد فعل نبينا ﷺ ذلك وهو يقول: «**خذوا عني مناسككم**»[3] فإذا ما فعل الحاج أو المعتمر عكس ما تقدم من شروط؛ كأن سعى قبل الطواف مثلًا أو بدأ بالمروة وختم بالصفا أو سعى

---

(١) سورة البقرة آية: ١٥٨.

(٢) سورة البقرة آية: ١٥٨.

(٣) سبق تخريجه.

في مكان آخر غير المسعى على أنه المسعى ففي جميع الحالات السابقة يبطل سعيه.

فوائد:

١- يقول أ.د زغلول النجار عن أسرار السعي بين الصفا والمروة: «السعي بين الصفا والمروة يذكر بأم إسماعيل عليها السلام. وهي تركض بين هذين الجبلين بحثًا عن الماء لصغيرها ونتيجة لإخلاصها ولثقتها في ربها أكرمها الله تعالى بجبريل يضرب الأرض بجناحه أو بعقبه فيفجر ماء زمزم من صخور مصمتة لا مسامية لها»

٢- السعي بين الصفا والمروة ليس عبادة مستقلة كالطواف مثلًا إنما هو تابع للطواف؛ ولذلك يكثر الحاج من الطواف ولا يسعى إلا بعد طواف.

٣- من سعى بين الصفا والمروة جميع الأشواط إلا جزءًا يسيرًا (مسافة يسيرة تركها بغير سعي) بطل سعيه.

ومن كان راكبًا على كرسي متحرك مثلًا أو محمولًا- لابد أن يكمل سعيه ولا يترك منه أي مسافة ولو قصيرة؛ فلا يدري لعل قبول السعي كله متوقف على تلك المسافة التي تركها.

يستحب الموالاة في السعي بين الصفا والمروة عند بعض العلماء بمعنى عدم الفصل بين الأشواط وبعضها، ولكن:

- لا بأس بالجلوس القليل بين الأشواط للاستراحة ثم متابعة السعي.
- من جلس ليعبث أو يلهو وطال به الجلوس بطل سعيه.

- من ترك السعي لخوف فوات صلاة مفروضة فهو جائز لا بأس به.

- يجوز قطع السعي بسبب احتقان البول ونحوه فيقضي حاجته ثم يكمل سعيه؛ فعن ابن عمر رضي الله عنهما «أنه كان يطوف بين الصفا والمروة فأعجله البول فتنحى ودعا بماء فتوضأ ثم قام فأتم على ما مضى»[1].

هذا... وهناك آراء أخرى لا تشترط المولاة في السعي بين الصفا والمروة.

هل للسعي بين الصفا والمروة سنن؟

للسعي سنن كثيرة منها:

١- تقديم السعي على الوقوف بعرفة؛ يسن تقديم السعي على الوقوف بعرفة عند الحنفية، وهو جائز وليس سنة عند الشافعية، وهو واجب عند المالكية والحنابلة كما أن عندهما أيضًا: يجب تأخير السعي حتى يكون بعد طواف الإفاضة بالنسبة لمن ليس عليه طواف قدوم، وهو جائز عند الشافعية سنة عند الحنفية.

٢- المشي في السعي سنة على أرجح الأقوال.

٣- الطهارة وستر العورة سنة مع أن السعي مع عدمهما جائز وصحيح؛ فمن سعى بين الصفا والمروة على غير وضوء صح سعيه.

٤- الصعود على الصفا والمروة مع الذكر والدعاء سنة، وقد ثبت أن ابن عمر

---

(١) رواه سعيد بن منصور.

كان يقول وهو على الصفا: «اللهم إنك قلت: ﴿ٱدۡعُونِيٓ أَسۡتَجِبۡ لَكُمۡ﴾[1]، وإنك لا تخلف الميعاد، وإني أسألك كما هديتني للإسلام ألا تنزعه مني حتى تتوفاني وأنا مسلم» والمرأة في ذلك مثل الرجل غير أنها تختار وقتًا لا زحام فيه إن أمكن ذلك.

مكروهات السعي بين الصفا والمروة:

من المكروه لمن سعى أن يترك سنة من السنن السابقة.

ومن سعى بين الصفا والمروة وأتم سعيه هل يمكن أن يكرر السعي مرة ثانية أو ثالثة؟

والجواب عن ذلك: تكرار السعي أمر مرفوض ومكروه؛ وذلك لحديث جابر رضي الله عنه: «أن النبي ﷺ لم يطف[2] هو ولا أصحابه بين الصفا والمروة إلا طوافًا واحدًا»[3].

الأدعية الواردة التي تقال أثناء السعي بين الصفا والمروة:

دعاء الشوط الأول من السعي:

الله أكبر كبيرًا والحمد لله كثيرًا وسبحان الله العظيم وبحمده الكريم بكرة وأصيلًا ﴿وَمِنَ ٱلَّيۡلِ فَٱسۡجُدۡ لَهُۥ وَسَبِّحۡهُ لَيۡلٗا طَوِيلًا ٢٦﴾ لا إله إلا الله

---

(١) سورة غافر آية: ٦٠.

(٢) طاف: بمعنى سعى.

(٣) أخرجه أحمد ومسلم وغيرهما.

وحده، أنجز وعده، ونصر عبده، وهزم الأحزاب وحده لا شيء قبله ولا بعده، يحيي ويميت وهو حي دائم لا يموت، بيده الخير وهو على كل شيء قدير، رب اغفر وارحم واعفُ وتكرَّم وتجاوز عما تعلم إنك تعلم ما لا نعلم إنك أنت الله الأعز الأكرم، ربنا نجنا من النار سالمين غانمين فرحين مستبشرين مع عبادك الصالحين وحسن أولئك رفيقًا، ذلك الفضل من الله وكفى بالله عليمًا لا إله إلا الله حقًّا حقًّا، لا إله إلا الله تعبدًا ورقًّا لا إله إلا الله ولا نعبد إلا إيَّاه مخلصين له الدين ولو كره الكافرون... وكلما قربت من المروة اقرأ قوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلصَّفَا وَٱلْمَرْوَةَ مِن شَعَآئِرِ ٱللَّهِ ۖ فَمَنْ حَجَّ ٱلْبَيْتَ أَوِ ٱعْتَمَرَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَن يَطَّوَّفَ بِهِمَا ۚ وَمَن تَطَوَّعَ خَيْرًا فَإِنَّ ٱللَّهَ شَاكِرٌ عَلِيمٌ ﴿١٥٨﴾ ﴾[1].

دعاء الشوط الثاني من السعي:

الله أكبر الله أكبر، الله أكبر ولله الحمد، لا إله إلا الله الواحد الأحد الفرد الصمد الذي لم يتخذ صاحبة ولا ولدًا ولم يكن له شريكٌ في الملك ولم يكن له وليٌّ من الذل وكبِّره تكبيرًا. اللهم إنك قلت في كتابك المنزل: ﴿ٱدْعُونِىٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾[2] دعوناك ربنا كما أمرتنا فاغفر لنا كما وعدتنا إنَّك لا تخلف الميعاد، ﴿رَّبَّنَآ إِنَّنَا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِى لِلْإِيمَـٰنِ أَنْ ءَامِنُوا۟ بِرَبِّكُمْ فَـَٔامَنَّا ۚ رَبَّنَا فَٱغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا

(١) سورة البقرة آية: ١٥٨.

(٢) سورة غافر آية: ٦٠.

﴿وَكَفِّرْ عَنَّا سَيِّئَاتِنَا وَتَوَفَّنَا مَعَ ٱلْأَبْرَارِ ﴿١٩٣﴾ رَبَّنَا وَءَاتِنَا مَا وَعَدتَّنَا عَلَىٰ رُسُلِكَ وَلَا تُخْزِنَا يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ ۗ إِنَّكَ لَا تُخْلِفُ ٱلْمِيعَادَ﴾[1]، ﴿رَّبَّنَا عَلَيْكَ تَوَكَّلْنَا وَإِلَيْكَ أَنَبْنَا وَإِلَيْكَ ٱلْمَصِيرُ ﴿٤﴾﴾[2]، ﴿رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلْإِيمَـٰنِ وَلَا تَجْعَلْ فِى قُلُوبِنَا غِلًّا لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٠﴾﴾[3]، رب اغفر وارحم، واعفُ وتكرم وتجاوز عما تعلم إنك تعلم ما لا نعلم إنك أنت الله الأعز الأكرم.

دعاء الشوط الثالث من السعي:

الله أكبر الله أكبر، الله أكبر ولله الحمد، ربنا أتمم لنا نورنا واغفر لنا إنَّك على كل شيء قدير ما علمت فيه وما لم أعلم وأعوذ بك من الشر كله عاجله وآجله ما علمت منه وما لم أعلم، اللهم إني أسألك الخير كله، عاجله وآجله، وأستغفرك لذنبي وأسألك رحمتك يا أرحم الراحمين، رب اغفر وارحم واعفُ وتكرَّم وتجاوز عما تعلم إنك تعلم ما لا نعلم إنك أنت الله الأعز الأكرم، رب زدني علمًا ولا تزغ قلبي بعد إذ هديتني وهب لي من لدنك رحمة إنك أنت الوهاب، اللهم عافني في سمعي اللهم عافني في بصري لا إله إلا أنت، اللهم

(١) سورة آل عمران آية: ١٩٤.

(٢) سورة الممتحنة آية: ٤.

(٣) سورة الحشر آية: ١٠.

إني أعوذ بك من عذاب القبر. لا إله إلا أنت سبحانك إني كنتُ من الظالمين. اللهم إني أعوذُ بك من الكفر والفقر، اللهم إني أعوذ برضاك من سخطك وبمعافاتك من عقوبتك، وأعوذ بك منك لا أحصي ثناء عليك أنت كما أثنيت على نفسك فلك الحمد حتى ترضى ولك الحمد بعد الرضا ولك الحمد أبدًا أبدًا.

دعاء الشوط الرابع من السعي:

الله أكبر الله أكبر، الله أكبر ولله الحمد. اللهم إني أسألك من خير ما تعلم، وأعوذ بك من شر ما تعلم، وأستغفرك من كل ما تعلم، إنك أنت علام الغيوب، لا إله إلا الله الملك الحق المبين، محمد رسول الله الصادق الوعد الأمين، اللهم إني أسألك كما هديتني للإسلام ألَّا تنزعه مني حتى تتوفاني وأنا مسلم. اللهم اجعل في قلبي نورًا وفي سمعي نورًا وفي بصري نورًا، اللهم اشرح لي صدري ويسِّر لي أمري وأعوذ بك من شر وساوس الصدر وشتات الأمر وفتنة القبر .

اللهم إني أعوذ بِكَ من شرِّ ما يلج في الليل وما يلج في النَّهار، ومن شرِّ ما تهبُّ به الرياح يا أرحم الراحمين، سبحانك ما عبدناك حقَّ عبادتك يا الله، سبحانك ما ذكرناك حق ذكرك يا الله، رب اغفر وارحم واعفُ وتكرَّم وتجاوز عما تعلم إنك تعلم ما لا نعلم إنَّك أنت الله الأعز الأكرم.

دعاء الشوط الخامس من السعي:

الله أكبر الله أكبر، الله أكبر ولله الحمد، سبحانك ما شكرناك حقَّ شُكرك يا الله، سبحانك ما أعلا شأنك يا الله، اللهم حبِّب إلينا الإيمان وزيِّنه في قلوبنا وكرِّه إلينا الكفر والفسوق والعصيان واجعلنا من الراشدين رب اغفر واعفُ وارحم وتكرَّم وتجاوز عما تعلم إنك تعلم ما لا نعلم إنك أنت الله الأعز الأكرم، اللهم قني عذابك يوم تبعث عبادك، اللهم اهدني بالهدى وقني بالتقوى واغفر لي في الآخرة والأولى، اللهم ابسط علينا من بركاتك وفضلك ورزقك، اللهم إني أسألك النعيم المقيم الذي لا يحول ولا يزول أبدًا، اللهم اجعل في قلبي نورًا وفي سمعي نورًا وفي بصري نورًا وفي لساني نورًا وعن يميني نورًا ومن فوقي نورًا واجعل في نفسي نورًا وعظِّم لي نورًا، رب اشرح لي صدري ويسِّر لي أمري.

دعاء الشوط السادس من السعي:

الله أكبر الله أكبر، الله أكبر ولله الحمد، لا إله إلا الله وحده، صدق وعده ونصر عبده وهزم الأحزاب وحده، لا إله إلا الله ولا نعبد إلا إياه مخلصين له الدين ولو كره الكافرون، اللهم إني أسألك الهدى والتقى والعفاف والغنى، اللهم لك الحمد كالذي نقول وخيرًا مما نقول، اللهم إني أسألك رضاك والجنة، وأعوذ بك منك ومن سخطك والنار وما يقرِّبني إليها من قول أو فعل أو عمل، اللهم بنورك اهتدينا وبفضلك استغنينا وفي كنفك وإنعامك وإعطائك وإحسانك أصبحنا وأمسينا، أنت الأول فلا قبلك شيء، والآخر فلا بعدك شيء والظاهر فلا شيء

فوقك، والباطن فلا شيء دونك، نعوذ بك من الفلس والكسل وعذاب القبر وفتنة الغنى، ونسألك الفوز بالجنة، رب اغفر وارحم واعفُ وتكرَّم وتجاوز عما تعلم إنك تعلم ما لا نعلم إنك أنت الله الأعز الأكرم.

دعاء الشوط السابع من السعي:

الله أكبر الله أكبر، الله أكبر ولله الحمد، الله أكبر كبيرًا، والحمد لله كثيرًا، اللهم حبِّب إليَّ الإيمان وزينه في قلبي وكره إليَّ الكفر والفسوق والعصيان واجعلني من الراشدين، رب اغفر وارحم واعف وتكرم وتجاوز عما تعلم إنك تعلم ما لا نعلم إنك أنت الله الأعز الأكرم، اللهم اختم بالخيرات آجالنا وحقِّق بفضلك آمالنا وسهِّل لبلوغ رضاك سُبُلنا وحسِّن في جميع الأحوال أعمالنا، يا منقذ الغرقى، يا منجي الهلكى، يا شاهد كل نجوى، يا منتهى كل شكوى، يا قديم الإحسان، يا دائم المعروف، يا من لا غنى بشيء عنه ولابد لكل شيء منه، يا من رزق كل شيء عليه ومصير كل شيء إليه، اللهم إني عائذ بك من شر ما أعطيتنا ومن شر ما منعتنا، اللهم توفنا مسلمين وألحقنا بالصالحين غير خزايا ولا مفتونين، ربِّ يسر ولا تعسِّر، ربِّ تمم بالخيرات.

التوجه إلى منى:

يتوجه الحجيج إلى منى يوم التروية (وهو اليوم الثامن من ذي الحجة، سمي بذلك إما لأن الإمام يروي للناس مناسكهم أو لأنهم كانوا يرتوون بالماء ويجمعونه بمنى).

يتوجه إلى منى القارن والمفرد بإحرامهما أما المتمتع فعليه أن يحرم بالحج كما أحرم عند الميقات.

يستحب الإكثار من الدعاء وكذلك يكثر الحاج من التلبية في منى، ويصلي بها الظهر والعصر والمغرب والعشاء، ويبيت بها ثم يخرج منها عندما تطلع الشمس في اليوم التاسع... هكذا كانت سنة رسولنا صلوات الله وسلامه عليه، ومن ترك ذلك فلا شيء عليه.

يقول أ.د زغلول النجار عن أسرار النفرة إلى منى ثم إلى عرفات: «والنفرة إلى منى ثم إلى عرفات تذكر بيوم البعث في زحامه وشدته».

من أركان الحج الوقوف بعرفة

يتوجه الحاج إلى عرفات بعد طلوع شمس يوم التاسع من ذي الحجة وهو مشغول بالتكبير والتهليل والتلبية؛ فقد سئل أنس بن مالك: ماذا كان يفعل الحاج في طريقه من منى إلى عرفات- على عهد رسول اللهﷺ- قال: «كان يلبي الملبي فلا ينكر عليه، ويكبر المكبر فلا ينكر عليه، ويهلل المهلل فلا ينكر عليه.»[1].

ومن السنة النزول بنمرة ويغتسل عندها استعدادًا للوقوف بعرفة، فيدخل عرفة بعد الزوال.

حكمة الوقوف بعرفة:

وعن حكمة مشروعية الوقوف بعرفة وكيف أنه أهم ركن من أركان الحج يحدثنا الإمام الغزالي فيقول:

وأما الوقوف بعرفة: فاذكر بما ترى من ازدحام الخلق وارتفاع الأصوات، واختلاف اللغات واتباع الفرق أئمتهم في الترددات على المشاعر اقتفاءً لهم وسيرًا بسيرهم عرصات القيامة واجتماع الأمم مع الأنبياء والأئمة واقتفاءَ كل أمة نبيها وطمعهم في شفاعتهم وتحيرهم في ذلك الصعيد الواحد بين الرد والقبول. وإذا تذكرت ذلك فألزم قلبك الضراعة والابتهال إلى الله ﷻ فتحشر في زمرة الفائزين

(١) رواه البخاري.

المرحومين. وحقق رجاءك بالإجابة؛ فالموقف شريف والرحمة إنما تصل من حضرة الجلال إلى كافة الخلق بواسطة القلوب العزيزة من الصالحين، ولا ينفك الموقف عن طبقة من الأبدال والأوتاد وطبقة من الصالحين وأرباب القلوب؛ فإذا اجتمعت هممهم وتجردت للضراعة والابتهال قلوبهم، وارتفعت إلى الله سبحانه أيديهم وامتدت إليه أعناقهم وشخصت نحو السماء أبصارهم مجتمعين بهمة واحدة على طلب الرحمة فلا تظنن أنه يخيب أملهم ويضيع سعيهم ويدخر عنهم رحمة تغمرهم. ولذلك قيل: إن من أعظم الذنوب أن يحضر عرفات ويظن أن الله تعالى لم يغفر له، وكأن اجتماع الهمم والاستظهار بمجاورة الصالحين المجتمعين من أقطار البلاد هو سر الحج وغاية مقصوده فلا طريق إلى استدرار رحمة الله سبحانه مثل اجتماع الهمم وتعاون القلوب في وقت واحد على صعيد واحد.

حكم الوقوف بعرفة:

الوقوف بعرفة ركن الحج الأعظم بإجماع المسلمين؛ لقول الرسول ﷺ لأهل نجد حين سألوه: كيف الحج؟: «**الحج عرفة فمن جاء قبل صلاة الفجر من ليلة جمع فقد تم حجه**»، وفي رواية، «**فقد أدرك**»[1] ومعنى (ليلة جمع) أي ليلة المبيت بمزدلفة.

---

(١) رواه أحمد وأصحاب السنن.

- متى يقف الحاج على عرفات؟.

يقف الحاج بعرفات من زوال الشمس يوم عرفة (التاسع من ذي الحجة) إلى طلوع الفجر يوم النحر (العاشر من ذي الحجة).

- لا يشترط أن يقف الحاج من زوال الشمس يوم التاسع إلى فجر يوم العاشر، وإنما يكفي الوقوف في أي جزء من هذا الوقت في الليل أو النهار.

- هل يشترط أن يتواجد الحاج بعرفات واقفًا؟

ليس المقصود بالوقوف بعرفة الوقوف الذي هو القيام على قدمين، ولكن المقصود: الحضور أو التواجد بهذا المكان حتى ولو كان راكبًا أو واقفًا أو قاعدًا أو ماشيًا أو مضطجعًا، وكذلك يستوي من كان متوضئًا أو غير متوضئ أو طاهرًا أو غير ذلك كالحائض والنفساء والجنب فيصح الوقوف منهم جميعًا.

من المستحب في يوم عرفة:

- الوقوف عند الصخرات موقف النبي محمد ﷺ أو قريبًا منها؛ فإن رسول الله ﷺ وقف في هذا المكان وقال: «**وقفت هاهنا وعرفة كلها موقف**»[1].

- وليس من السنة التزاحم والصعود إلى جبل يسمى «جبل الرحمة»؛ لأن الوقوف به ليس من السنة.

- كما يستحب الاغتسال للوقوف بعرفة؛ لأن ابن عمر رضي الله عنهما روي

---

(١) رواه أحمد ومسلم وغيرهما.

عنه أنه كان يغتسل عشية عرفة»[1]. واغتسل عمر ﷺ بعرفات وهو مُهِلٌّ.[2]

فضل يوم عرفة:

جاء في السنة الصحيحة في فضل ذلك اليوم الكثير؛ من ذلك:

١- عن جابر رضي الله عنه، قال رسول الله ﷺ: «**ما من أيام عند الله أفضل من عشر ذي الحجة**، فقال رجل: هن أفضل من عدتهن جهادًا في سبيل الله؟ قال: **هن أفضل من عدتهن جهادًا، وما من يوم أفضل عند الله من يوم عرفة ينزل الله تبارك وتعالى إلى السماء الدنيا فيباهي بأهل الأرض أهل السماء فيقول: انظروا إلى عبادي، جاءوني شعثًا غبرًا ضاحين جاءوا من كل فج عميق، يرجون رحمتي ولم يروا عذابي فلم ير يوم أكثر عتيقًا من النار من يوم عرفة**»[3].

٢- عن عائشة رضي الله عنها أن رسول الله ﷺ قال: «**ما من يوم أكثر من أن يعتق الله فيه عبيدًا من النار من يوم عرفة وإنه ليدنو، ويتجلى ثم يباهي بهم الملائكة فيقول: ما أراد هؤلاء**»[4]. وفي رواية زيادة على ذلك «اشهدوا يا ملائكتي أني قد غفرت لهم».

---

(١) رواه مالك.

(٢)

(٣) رواه أبو يعلى والبزار وابن خزيمة وابن حبان.

(٤) رواه مسلم.

٣- عن أبي الدرداء ﷺ أن النبي ﷺ قال: «**ما رؤي الشيطان يومًا هو فيه أصغر ولا أدحر ولا أغيظ منه في يوم عرفة، وما ذاك إلا لما رأى من تنزل الرحمة وتجاوز الله عن الذنوب العظام إلا ما أُرِي من يوم بدر** قيل: وما رأى يوم بدر يا رسول الله؟ قال: «**أما إنه رأى جبريل يَزَع الملائكة**[١]»[٢].

صيام يوم عرفة بالنسبة للحاج وغيره:

من السنة إفطار يوم عرفة بالنسبة لمن كان واقفًا على عرفات حتى يتقوى على العبادة في ذلك اليوم فقد قال النبي ﷺ: «**إن يوم عرفة ويوم النحر وأيام التشريق عيدنا- أهل الإسلام- وهي أيام أكل وشرب**»[٣] ثبت أنه ﷺ «نهى عن صوم يوم عرفة بعرفات» أما ما جاء يرغبنا في صيامه فلعله محمول على من لم يكن حاجًّا.

يقول أ.د زغلول النجار عن أسرار الوقوف بعرفة: «الوقوف بعرفات يذكر بالحشر وبالعرض الأكبر بين يدي الله تعالى».

أعمال يوم عرفة:

أما عن الأعمال في ذلك اليوم وعن يوم التروية وخطبة يوم عرفة.

وكذلك التلبية فيه والدعاء... وهل يترك التلبية ويدعو بدعاء عرفة أم

---

(١) **يَزَع الملائكة**: أي يقود الملائكة.

(٢) رواه مالك مرسلًا والحاكم موصولًا.

(٣) أخرجه الترمذي.

يواصل التلبية مع الدعاء؟ وبم يدعو الحاج؟... كل ذلك.. لنترك إمامنا الغزالي يصور لنا هذه الأحداث بأسلوبه الشيق.

«والدعاء المأثور عن رسول الله ﷺ وعن السلف في يوم عرفة أولى ما يدعو به فليقل: لا إله إلا الله وحده، لا شريك له له الملك وله الحمد يحيي ويميت وهو حي لا يموت بيده الخير وهو على كل شيء قدير، اللهم اجعل في قلبي نورًا، وفي سمعي نورًا، وفي بصري نورًا وفي لساني نورًا، اللهم اشرح لي صدري ويسر لي أمري» وليقل: «اللهم رب الحمد لك الحمد كما نقول وخيرًا مما نقول، لك صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي، وإليك مآبي وإليك ثوابي، اللهم إني أعوذ بك من وساوس الصدر وشتات الأمر وعذاب القبر، اللهم إني أعوذ بك من شر ما يلج في الليل، ومن شر ما يلج في النهار، ومن شر ما تهب به الرياح، ومن شر بوائق الدهر، اللهم إني أعوذ بك من تحول عافيتك وفجأة نقمتك وجميع سخطك، اللهم اهدني بالهدى، واغفر لي في الآخرة والأولى، يا خير مقصود، وأسنى منزول به، وأكرم مسئول ما لديه، أعطني العشية أفضل ما أعطيت أحدًا من خلقك وحجاج بيتك يا أرحم الراحمين، اللهم يا رفيع الدرجات ومنزل البركات، ويا فاطر الأرضين والسموات؛ ضجت إليك الأصوات بصنوف اللغات يسألونك الحاجات، وحاجتي إليك ألَّا تنساني في دار البلاء إذا نسيني أهل الدنيا، اللهم إنك تسمع كلامي وترى مكاني وتعلم سري وعلانيتي ولا يخفى عليك شيء من أمري، أنا البائس الفقير المستغيث المستجير، الوجل

المشفق المعترف بذنبه، أسألك مسألة المسكين، وأبتهل إليك ابتهال المذنب الذليل، وأدعوك دعاء الخائف الضرير، دعاء من خضعت لك رقبته وفاضت لك عبرته وذل لك جسده ورغم لك أنفه، اللهم لا تجعلني بدعائك رب شقيًّا، وكن بي رءوفًا رحيمًا، يا خير المسئولين، وأكرم المعطين؛ إلهي من مدح لك نفسه فإني لائم نفسي، إلهي أخرست المعاصي لساني فمالي وسيلة من عمل، ولا شفيع سوى الأمل؛ إلهي إني أعلم أن ذنوبي لم تبق لي عندك جاهًا ولا للاعتذار وجهًا ولكنك أكرم الأكرمين، إلهي إن لم أكن أهلًا أن أبلغ رحمتك فإن رحمتك أهل أن تبلغني، ورحمتك وسعت كل شيء وأنا شيء. إلهي إن ذنوبي وإن كانت عظامًا ولكنها صغار في جنب عفوك فاغفرها لي يا كريم. إلهي أنت أنت وأنا أنا، أنا العواد إلى الذنوب، وأنت العواد إلى المغفرة. إلهي إن كنت لا ترحم إلا أهل طاعتك فإلى مَنْ يفزع المذنبون.

إلهي تجنبت عن طاعتك عمدًا وتوجهت إلى معصيتك قصدًا، فسبحانك ما أعظم حجتك عليَّ وأكرم عفوك عني، فبوجوب حجتك عليَّ وانقطاع حجتي عنك وفقري إليك وغناك عني إلا غفرت لي، يا خير من دعاه داعٍ، وأفضل من رجاه راجٍ، بحرمة الإسلام، وبذمة محمد ﷺ أتوسل إليك فاغفر لي جميع ذنوبي، واصرفني من موقفي هذا مقضي الحوائج، وهب لي ما سألت، وحقق رجائي فيما تمنيت. إلهي دعوتك بالدعاء الذي علمتنيه فلا تحرمني الرجاء الذي عرفتنيه. إلهي ما أنت صانع العشية بعبد مقر لك بذنبه، خاشع لك بذلته، مستكين بجرمه،

متضرع إليك من عمله، تائب إليك من اقترافه، مستغفر لك من ظلمه، مبتهل إليك في العفو عنه؛ طالب إليك نجاح حوائجه، راج إليك في موقفه مع كثرة ذنوبه، فيا ملجأ كل حي، وولي كل مؤمن، من أحسن فبرحمتك يفوز، ومن أخطأ فبخطيئته يهلك. اللهم إليك خرجنا، وبفنائك أنخنا، وإياك أملنا، وما عندك طلبنا، ولإحسانك تعرضنا، ورحمتك رجونا ومن عذابك أشفقنا، وإليك بأثقال الذنوب هربنا، ولبيتك الحرام حججنا، يا من يملك حوائج السائلين، ويعلم ضمائر الصامتين، يا من ليس معه رب يدعى، ويا من ليس فوقه خالق يخشى، ويا من ليس له وزير يؤتى، ولا حاجب يرشى، يا من لا يزداد على كثرة السؤال إلا جودًا وكرمًا، وعلى كثرة الحوائج إلا تفضلًا وإحسانًا. اللهم إنك جعلت لكل زائر كرامة، ولكل سائل عطية، ولكل راج ثوابًا، ولكل ملتمس لما عندك جزاء، ولكل مسترحم عندك رحمة ولكل راغب إليك زلفى، ولكل متوسل إليك عفوًا، وقد وفدنا إلى بيتك الحرام، ووقفنا بهذه المشاعر العظام، وشهدنا هذه المشاهد الكرام، رجاء لما عندك، فلا تخيب رجاءنا. إلهنا تابعت النعم حتى اطمأنت الأنفس بتتابع نعمك، وأظهرت العبر حتى نطقت الصوامت بحجتك، وظاهرت المنن حتى اعترف أولياؤك بالتقصير عن حقك، وأظهرت الآيات حتى أفصحت السموات والأرضون بأدلتك، وقهرت بقدرتك حتى خضع كل شيء لعزتك، وعنت الوجوه لعظمتك، إذا أساء عبادك حلمت وأمهلت، وإن أحسنوا تفضلت وقبلت، وإن عصوا سترت، وإن أذنبوا عفوت وغفرت، وإذا

دعونا أجبت، وإذا نادينا سمعت؛ وإذا أقبلنا إليك قربت، وإذا ولينا عنك دعوت. إلهنا إنك قلت في كتابك المبين لمحمد خاتم النبيين: ﴿ قُل لِّلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِن يَنتَهُواْ يُغْفَرْ لَهُم مَّا قَدْ سَلَفَ ﴾[1] فأرضاك عنهم الإقرار بكلمة التوحيد بعد الجحود، وإنا نشهد لك بالتوحيد مخبتين، ولمحمد بالرسالة مخلصين، فاغفر لنا بهذه الشهادة سوالف الإجرام، ولا تجعل حظنا فيه أنقص من حظ من دخل في الإسلام، إلهنا إنك أحببت التقرب إليك بعتق ما ملكت أيماننا ونحن عبيدك وأنت أولى بالتفضل فأعتقنا، وإنك أمرتنا أن نتصدق على فقرائنا ونحن فقراؤك وأنت أحق بالتطول فتصدق علينا، ووصيتنا بالعفو عمن ظلمنا وقد ظلمنا أنفسنا وأنت أحق بالكرم فاعف عنا، ربنا اغفر لنا وارحمنا أنت مولانا، ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا برحمتك عذاب النار»...

وليكثر من دعاء الخضر عليه السلام وهو أن يقول: «يا من لا يشغله شأن عن شأن؛ ولا سمع عن سمع، ولا تشتبه عليه الأصوات، يا من لا تغلطه المسائل ولا تختلف عليه اللغات، يا من لا يبرمه إلحاح الملحين، ولا تضجره مسألة السائلين، أذقنا برد عفوك وحلاوة مناجاتك».

وليدعُ بما بدا له، وليستغفر له ولوالديه ولجميع المؤمنين والمؤمنات، وليلح في الدعاء، وليعظم المسألة فإن الله لا يتعاظمه شيء.

---

(١) سورة الأنفال آية: ٣٨.

وقال مطرف بن عبدالله وهو بعرفة: «اللهم لا ترد الجميع من أجلي» وقال بكر المزني: قال رجل: لما نظرت إلى أهل عرفات ظننت أنهم قد غفر لهم لولا أني كنت فيهم.

وبعدما ينتهي الحاج من هذه المناجاة التي يخلو بها مع ربه يلتمس منه المغفرة والرحمة والرضوان والقبول، ويحب أن يكون ممن يباهي الله بهم الملائكة في ذلك اليوم- يسن له الإفاضة من عرفات بعد أن تغرب الشمس، والمراد من الإفاضة الإسراع من هذا المكان إلى مكان آخر، وسماها الحق سبحانه إفاضة فقال عز من قائل: ﴿ لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَبْتَغُوا فَضْلًا مِّن رَّبِّكُمْ ۚ فَإِذَا أَفَضْتُم مِّنْ عَرَفَاتٍ فَاذْكُرُوا اللَّهَ عِندَ الْمَشْعَرِ الْحَرَامِ ۖ وَاذْكُرُوهُ كَمَا هَدَاكُمْ وَإِن كُنتُم مِّن قَبْلِهِ لَمِنَ الضَّالِّينَ (١٩٨) ﴾[1]. فشبهت الآية الحجيج في خروجهم من عرفات بالماء عندما يزيد ويفيض ويسيل؛ لأن الحجاج يخرجون جماعات جماعات كالفيضان تمامًا.

وقد أفاض النبي ﷺ وهو في سكينة وهدوء وضم إليه زمام ناقته، حتى إن رأسها ليصيب طرف رجله وهو يقول: «**أيها الناس عليكم بالسكينة، فإن البر ليس بالإبضاع**[2]»[1].

(١) سورة البقرة آية: ١٩٨.

(٢) يعني الإسراع.

ويستحب التلبية والذكر؛ فإن رسول الله ﷺ لم يزل يلبي حتى رمى جمرة العقبة.

ما المناسك المطلوبة بالمزدلفة؟

- إذا وصل الحجاج إلى المزدلفة صلوا المغرب والعشاء ركعتين بأذان واحد وإقامتين من غير صلاة سنة بينهما؛ لما روي أنه ﷺ أتى المزدلفة فجمع بين المغرب والعشاء بأذان واحد وإقامتين ولم يسبح بينهما شيئًا»[2]. ومعنى لم يسبح بينهما شيئًا أي لم يصلِّ بينهما.

- كذلك من السنة المبيت بالمزدلفة ثم الوقوف بها؛ فقد جاء في حديث جابر ﷺ أن النبي ﷺ لما أتى المزدلفة صلى المغرب والعشاء ثم اضطجع حتى طلع الفجر فصلى الفجر، ثم ركب القصواء حتى أتى المشعر الحرام، ولم يزل واقفًا حتى أسفر جدًّا ثم دفع قبل طلوع الشمس.

يقول أ.د زغلول النجار عن أسرار المبيت بالمزدلفة:

«والمبيت بالمزدلفة يذكر بآلاف الأنبياء ومئات المرسلين الذين حجوا من قبل، والذين نزلوا بهذا المنزل، تأكيدًا لوحدة الدين، وللأخوة بين أنبياء رب العالمين،

=

(١) رواه البخاري.

(٢) رواه مسلم.

وإحياءً لسنة خاتمهم ﷺ وبارك عليه وعليهم أجمعين».

ما حكم من ترك الحضور إلى المزدلفة؟

من فعل ذلك ولم يأت إلى المزدلفة لزمه دم إلا إذا كان هناك عذر فلا شيء عليه حينئذ، فإذا كان قبل طلوع الشمس أفاض الحاج من المزدلفة إلى منى.

يقول الإمام الغزالي:

«فإذا بلغ المزدلفة، قال: اللهم إن هذه مزدلفة، جمعت فيها ألسنة مختلفة، تسألك حوائج مؤتنفة، فاجعلني ممن دعاك فاستجبت له، وتوكل عليك فكفيته، ثم يجمع بين المغرب والعشاء بمزدلفة في وقت العشاء قاصرًا لهما بأذان وإقامتين ليس بينهما نافلة، ولكن يجمع نافلة المغرب والعشاء والوتر بعد الفريضتين، ويبدأ بنافلة المغرب، ثم بنافلة العشاء كما في الفريضتين؛ فإن ترك النوافل في السفر خسران ظاهر، وتكليف إيقاعها في الأوقات إضرار وقطع للتبعية بينها وبين الفرائض، فإذا جاز أن يؤدي النوافل مع الفرائض بتيمم واحد بحكم التبعية فبأن يجوز أداؤهما على حكم الجمع بالتبعية أولى، ولا يمنع من هذا مفارقة النفل للفرض في جواز أدائه على الراحلة لما أومأنا إليه من التبعية والحاجة ثم يمكث تلك الليلة بمزدلفة وهو مبيت نسك، ومن خرج منها في النصف الأول من الليل ولم يبت فعليه دم، وإحياء هذه الليلة الشريفة من محاسن القربات لمن يقدر عليه.

ثم إذا انتصف الليل يأخذ في التأهب للرحيل، ويجمع الحصى منها، ففيها

أحجار رخوة فليأخذ سبعين حصاة فإنها قدر الحاجة، ولا بأس بأن يأخذ زيادة فربما يسقط منه بعضها، ولتكن الحصى صغيرة بحيث تمسكها أطراف الأصابع، ثم ليُصلِّ صلاة الصبح، وليأخذ في المسير حتى إذا انتهى إلى المشعر الحرام وهو آخر المزدلفة فيقف ويدعو الله ويقول: «اللهم بحق المشعر الحرام والبيت الحرام والشهر الحرام والركن والمقام، أبلغ روح محمد منا التحية والسلام، وأدخلنا دار السلام، يا ذا الجلال والإكرام».

ولكن أين يقف الحاج بالمزدلفة؟

المزدلفة كلها تصلح للوقوف إلا وادي محسر، (وهو بين المزدلفة ومنى)؛ لما رواه جبير بن مطعم أن النبي ﷺ قال: «**كل مزدلفة موقف، وارفعوا عن محسر**»[1].

والوقوف عند مكان يسمى «قزح» أفضل؛ لأن النبي ﷺ وقف عليه وقال: «**هذا قزح[2] وهو الموقف، وجمع كلها موقف**»[3].

هل يلزم المبيت بمزدلفة؟

يمكن أن يسقط وجوب المبيت بالمزدلفة في بعض الحالات منها: الضعف أو خوف زحام أو مرض أو فوات رفقة، لقول عائشة رضي الله عنها: «كانت سودة امرأة ضخمة ثبطة[4] فاستأذنت رسول الله ﷺ أن تفيض من جمع بليل فأذن لها، ووددت أني كنت استأذنته فأذن لي»[5].

---

(١) رواه أحمد.

(٢) قزح: اسم جبل.

(٣) رواه أبو داود

(٤) ثبطة: أي بطيئة الحركة.

(٥) أخرجه الشيخان وأحمد.

أعمال يوم النحر:

يبدأ هذا اليوم بالرمي، ثم الذبح، ثم الحلق وأخيرًا الطواف بالبيت، وهذا الترتيب الذي ذكر سنة فلو قدم شيئًا وأخر ما حقه التقديم فلا شيء عليه؛ لما رواه عبدالله بن عمرو أنه قال: وقف رسول الله ﷺ في حجة الوداع بمنى والناس يسألونه فجاءه رجل فقال: يا رسول الله إني لم أَشْعُر فحلقت قبل أن أنحر فقال رسول الله ﷺ: «**اذبح ولا حرج**»، ثم جاء آخر فقال: يا رسول الله إني لم أَشْعُر فنحرت قبل أن أرمي، فقال رسول الله ﷺ: «**ارم ولا حرج**»، قال: فما سئل رسول الله ﷺ عن شيء قدِّم ولا أُخر إلا قال: «**افعل ولا حرج**»[1].

(١) متفق عليه.

التحلل الأول والثاني:

يوم النحر يحل للمحرم كل ما كان محرَّمًا عليه منذ أن أحرم، من ذلك: «لبس الثياب، مس العطور والطيب ولكن لا يحل له النساء وهذا ما يسمى بالتحلل الأول.

والتحلل الثاني: إذا طاف طواف الإفاضة يحل له كل شيء ويحل له النساء.

رمي الجمار:

هو مشروع؛ لما رواه ابن عباس رضي الله عنهما أن النبي ﷺ قال: «**لما أتى إبراهيم** عليه السلام **المناسك عرض له الشيطان عند جمرة العقبة فرماه بسبع حصيات حتى ساخ في الأرض، ثم عرض له عند الجمرة الثانية فرماه بسبع حصيات حتى ساخ في الأرض، ثم عرض له عند الجمرة الثالثة فرماه بسبع حصيات حتى ساخ في الأرض**». قال ابن عباس رضي الله عنهما:

«الشيطان ترجمون وملة أبيكم تتبعون»[1].

ما حكم الرمي:

هو واجب عند الجمهور وليس ركنًا؛ لكن إذا تُرك لزم دم؛ لما روي عن جابر رضي الله عنه قال: رأيت النبي ﷺ يرمي الجمرة على راحلته يوم النحر، ويقول:

---

(١) رواه ابن خزيمة والحاكم.

«لتأخذوا عني مناسككم، فإني لا أدري لعلي لا أحج بعد حجتي هذه»[1].

حكمة الرمي:

يقول إمامنا الغزالي:

وأما رمي الجمار: فاقصد به الانقياد للأمر إظهارًا للرق والعبودية وانتهاضًا لمجرد الامتثال من غير حظ للعقل والنفس فيه ثم اقصد به التشبه بإبراهيم عليه السلام حيث عرض له إبليس لعنه الله تعالى في ذلك الموضع ليدخل على حجه شبهة أو يفتنه بمعصية؛ فأمره الله عز وجل أن يرميه بالحجارة طردًا له وقطعًا لأمله فإن خطر لك أن الشيطان عرض له وشاهده فلذلك رماه وأما أنا فليس يعرض لي الشيطان فاعلم أن هذا الخاطر من الشيطان وأنه الذي ألقاه في قلبك ليفتر عزمك في الرمي ويخيل إليك أنه فعل لا فائدة فيه وأنه يضاهي اللعب فلم تشتغل به؛ فاطرده عن نفسك بالجد والتشمير في الرمي فيه برغم أنف الشيطان واعلم أنك في الظاهر ترمي الحصى إلى العقبة وفي الحقيقة ترمي به وجه الشيطان وتقصم به ظهره؛ إذ لا يحصل إرغام أنفه إلا بامتثالك أمر الله سبحانه وتعالى تعظيمًا له بمجرد الأمر من غير حظ للنفس والعقل فيه.

حجم الحصاة التي يرمي بها الحاج:

تكون الحصاة صغيرة مثل حبة الفول مثلًا؛ فعن عبدالرحمن التيمي قال: أمرنا

---

(١) رواه أحمد ومسلم والنسائي.

رسول الله ﷺ أن نرمي الجمار بمثل حصى الحذف في حجة الوداع.[1] وحصى الحذف: أي الحصى الصغيرة مثل حبة الفول وأقل من البندق.

ويجوز أن يرمي بحجر كبير مع الكراهة، والسنة كون الحجر مثل حجر الحذف للحديث السابق؛ ولما روي عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال لي رسول الله ﷺ هات، القط لي، فلقطت له حصيات هي حصى الحذف فلما وضعتهن في يده قال: «**بأمثال هؤلاء وإياكم والغلو في الدين، فإنما أهلك الذين من قبلكم الغلو في الدين**»[2].

مكان جمع الحصى للرمي:

يجمع من المزدلفة أو من أي مكان آخر؛ فقد كان ابن عمر - رضي الله عنهما- يأخذ الحصى من المزدلفة وفعله سعيد بن جبير وقال: «كانوا يتزودون الحصى منها» وهو مستحب عند الإمام الشافعي.

- ويجوز الرمي بحصى رمي به من قبل.
- ويجوز الرمي من الراكب.

عدد الحصى التي يرمي بها:

سبعون حصاة، أو تسع وأربعون.

---

(١) رواه الطبراني في الكبير.

(٢) رواه أحمد والنسائي.

كيفية توزيع السبعين حصاة:

- يرمي الحاج سبع حصيات يوم النحر عند جمرة العقبة، وإحدى وعشرون في اليوم الحادي عشر (أول أيام التشريق الثلاثة) موزعة على الجمرات الثلاث؛ على أن ترمى كل جمرة بسبع، والجمرات الثلاث هي: جمرة العقبة، وهي على يسار الداخل إلى منى، والجمرة الوسطى بعد جمرة العقبة وبينهما ١١٥ مترًا تقريبًا، والجمرة الصغرى هي التي تلي مسجد الخيف، وبينهما وبين الجمرة الوسطى ١٥٥ مترًا تقريبًا.

وإحدى وعشرون يرمي بها الحاج في اليوم الثاني عشر على الكيفيات السابقة.

وإحدى وعشرون يرمي بها الحاج في اليوم الثالث عشر، وهو آخر أيام التشريق الثلاثة.

فمن تعجل في يومين ولم يرمِ في اليوم الثالث عشر جاز ذلك، ويكون مجموع الحصى الذي عليه أن يرميه الحاج تسعًا وأربعين.

وقت الرمي: بعد طلوع الشمس، أي في وقت الضحى كما فعل ذلك رسول الله ﷺ، ويجوز تأخير الرمي إلى الليل أو بعد منتصف الليل، وذلك للنساء والصبيان والضعفة وذوي الأعذار ورعاة الإبل؛ وذلك لأن «النبي ﷺ أرسل

أم سلمة ليلة النحر فرمت قبل الفجر ثم أفاضت»[1].

هل لرمي الجمرات ترتيب؟

الثابت عن رسول الله ﷺ أنه بدأ رمي الجمرة الأولى التي تلي منى ثم الجمرة الوسطى التي تليها ثم رمى جمرة العقبة، وثبت عنه ﷺ أنه قال: «**خذوا عني مناسككم**»؛ فيؤخذ من ذلك استحباب الترتيب بين الجمرات كما مر.

هل يجوز الإنابة في الرمي؟

نعم يجوز إذا كان هناك ما يمنع من الرمي مثل: المرض كالشلل والعمى، وكبر السن، والضعف بحيث لا يقوى على الرمي؛ فمن كان عنده عذر من ذلك استناب من يرمي عنه.

قال جابر ﷺ: «حججنا مع رسول الله ﷺ ومعنا النساء والصبيان، فلبينا عن النساء ورمينا عنهن»[2].

المبيت بمنى:

يجب المبيت بمنى في الليالي الثلاث أو ليلتي الحادي عشر والثاني عشر، وذلك عند الجمهور وهو سنة عند الحنفية.

ويسقط المبيت بمنى عن:

---

(١) رواه أبو داود.

(٢) رواه ابن ماجه.

ذوي الأعذار كالسقاة «فقد استأذن العباس النبي ﷺ أن يبيت بمكة ليالي منى من أجل سقايته فأذن له»[1].

توقيت الرجوع من منى:

- يرجع من منى إلى مكة قبل غروب الشمس من اليوم الثاني عشر بعد الرمي عند الجمهور.

- ويرجع من منى إلى مكة طالما لم يطلع الفجر من اليوم الثالث عشر من ذي الحجة، وذلك عند الحنفية.

- ولا ينفر من منى بعد الغروب لمخالفة السنة؛ فيكره إن فعل ولا شيء عليه.

الهدي:

- ما أهدي إلى الله تعالى تقربًا من النعم من أفضل ما يتقرب به إلى الله الهدي؛ فالله تعالى يحب الهدي؛ قال تعالى: ﴿ وَٱلْبُدْنَ جَعَلْنَٰهَا لَكُم مِّن شَعَٰٓئِرِ ٱللَّهِ لَكُمْ فِيهَا خَيْرٌ ۖ فَٱذْكُرُوا۟ ٱسْمَ ٱللَّهِ عَلَيْهَا صَوَآفَّ ۖ فَإِذَا وَجَبَتْ جُنُوبُهَا فَكُلُوا۟ مِنْهَا وَأَطْعِمُوا۟ ٱلْقَانِعَ وَٱلْمُعْتَرَّ ۚ كَذَٰلِكَ سَخَّرْنَٰهَا لَكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٣٦﴾ لَن يَنَالَ ٱللَّهَ لُحُومُهَا وَلَا دِمَآؤُهَا وَلَٰكِن يَنَالُهُ ٱلتَّقْوَىٰ مِنكُمْ ﴾.

وكان عمر بن الخطاب ﷺ يقول: «أهدوا فإن الله يحب الهدي»، وأهدى

(١) رواه البخاري.

رسول الله ﷺ مائة من الإبل وكان هديه تطوعًا.

- حكمة مشروعية الهدي:

أما ذبح الهدي فاعلم أنه تقرب إلى الله تعالى بحكم الامتثال؛ فأكمل الهدي وارجُ أن يعتق الله بكل جزء منه جزءًا منك من النار؛ فهكذا ورد الوعد؛ فكلما كان الهدي أكبر وأجزاؤه أوفر كان فداؤك من النار أعم.

- ما أقل ما يجزئ من الهدي؟

ليس لأكثره حد؛ حيث إن رسول الله ﷺ أهدى مائة من الإبل كما تقدم، وكان هديه هدي تطوع، وأقل الهدي: يجزئ عن الواحد شاة أو سُبْع بدنة، أو سُبْع بقرة؛ فإن البقرة أو البدنة تجزئ عن هذا العدد- أي سبعة.

والدليل على ذلك: ما قاله جابر رضي الله عنه: «حججنا مع رسول الله ﷺ فنحرنا البعير عن سبعة والبقرة عن سبعة»[1].

- ما الأفضل في الهدي:

- الفقهاء والعلماء مجمعون على أن الهدي لا يكون إلا من النعم، وهو بالترتيب الآتي: الإبل ثم البقر ثم الغنم.

- ما يوجب بدنة:

تجب في الحالات الآتية: من طاف للزيارة جُنبًا أو حائضًا أو نفساء أو جامع

---

(١) رواه أحمد ومسلم.

بعد الوقوف بعرفة وقبل الحلق أو نذر بدنة أو جزورًا، ومن لم يجد من البدن فليشترِ سبع شياه؛ وذلك لما روي عن ابن عباس رضي الله عنهما أن النبي ﷺ أتاه رجل فقال: إن عليَّ بدنة وأنا موسر بها ولا أجدها فأشتريها، فأمره ﷺ أن يبتاع سبع شياه فيذبحهن»[1].

هل للهدي شروط:

نعم له شروط منها:

١- كونه سليمًا: فلا تجزئ فيه العوراء ولا العرجاء ولا الجرباء ولا العجفاء (الهزيلة) فإن اشتراها وكانت سليمة ثم أصابها مرض قبل يوم النحر قال الحسن: «فليذبحها وقد أجزأته»[2].

٢- كونه ثنيًّا إذا كان من غير الضأن، أما الضأن فإنه يجزئ منه الجذع فما فوقه وهو ما له ستة أشهر وكان سمينًا، والثني من الإبل ما له خمس سنين ومن البقر ما له سنتان، ومن المعز ما له سنة تامة فهذه يجزئ منها الثني فما فوقه.

فإذا أراد الحاج الهدي لله تعالى فعليه أن يتخير هذا الهدي؛ فقد روى مالك عن هشام بن عروة عن أبيه أنه كان يقول لبنيه «يا بني لا يهدي أحدكم لله تعالى من البدن شيئًا يستحي أن يهديه لكريمه فإن الله أكرم الكرماء وأحق من اختير

---

(١) رواه أحمد وابن ماجه.

(٢) رواه سعيد بن منصور.

له».

ماذا تعرف عن إشعار الهدي وتقليده؟

الإشعار: شق أحد جنبي سنام البدنة أو البقرة إن كان لها سنام حتى يسيل دمها؛ فذلك يعتبر علامة على كونها هديًا فلا يتعرض لها أحد.

أما التقليد فمعناه:

أن يجعل في عنق الهدي علامة كقطعة جلد مثلًا ليعرف بها أنه هدي.

مشروعيته: أهدى رسول الله ﷺ غنمًا وقلدها، وقد بعث بها مع أبي بكر ﷺ وقتما حج سنة تسع، وثبت أن النبي ﷺ قلد الهدي وأشعره.

والإشعار مستحب عند عامة العلماء ما عدا أبا حنيفة.

هل للإشعار والتقليد في الهدي حكمة:

نعم.. والحكمة في ذلك: تعظيم شعائر الله تعالى وإظهارها فهي قرابين تذبح ليتقرب بها إلى الله تعالى

متى وأين تذبح الهدي؟

أما توقيت ذبح الهدي فمختلف فيه بين الفقهاء:

- فقد اختار مالك وأحمد: أيام النحر.

- وعند الشافعي: يوم النحر وأيام التشريق؛ لقوله ﷺ: «**وكل أيام التشريق**

ذبح»[1].

- وهناك من يرى أن وقت الذبح من يوم النحر إلى آخر ذي الحجة.

وأما مكان الذبح:

فهو الحرم، ومكة كلها منحر (أي مكان للذبح) سواء أكان الهدي واجبًا أو تطوعًا؛ لما رواه جابر ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: «**كل مِنى منحر وكل المزدلفة موقف، وكل فجاج مكة طريق ومنحر**»[2].

فتنحر الإبل واقفة ويذبح غيرها من البقر والغنم مضطجعة، ويستحب أن يذبح الحاج بنفسه هديه وإلا فيندب أن يشهده.

الإنابة في الذبح:

جائزة فليس كل الناس يحسن الذبح.

هل يأكل الحاج من لحوم الهدي؟

نحن مأمورون بالأكل منها؛ قال سبحانه: ﴿ **فَكُلُواْ مِنْهَا وَأَطْعِمُواْ ٱلْبَآئِسَ ٱلْفَقِيرَ** ﴿٢٨﴾ ﴾.. ولكن أهي لحوم الهدي الواجب أو التطوع أو هدي المتعة أو القِرَان؟، فهذه كلها آراء قال بها الفقهاء والعلماء؛ فيجوز الأكل من كلٍّ.

---

(١) رواه أحمد.

(٢) رواه أبو داود وابن ماجه.

لكن ما المقدار الذي يؤكل من الهدي؟

للمُهْدِي الأكل من الهدي المقدار الذي يريده من غير تحديد، وله أن يهدي أو يتصدق بما يراه، ويرى البعض أكل النصف وإهداء النصف، ويرى بعض آخر أكل الثلث وإهداء الثلث والتصدق بالباقي.

الحلق والتقصير:

ثبت ذلك بالقرآن والسنة والإجماع.

فمن القرآن قوله تعالى: ﴿ **لَّقَدْ صَدَقَ ٱللَّهُ رَسُولَهُ ٱلرُّءْيَا بِٱلْحَقِّ ۖ لَتَدْخُلُنَّ ٱلْمَسْجِدَ ٱلْحَرَامَ إِن شَآءَ ٱللَّهُ ءَامِنِينَ مُحَلِّقِينَ رُءُوسَكُمْ وَمُقَصِّرِينَ لَا تَخَافُونَ ۖ** ﴾.

ومن السنة: أن النبي ﷺ قال: «**رحم الله المحلقين**» قالوا: والمقصرين يا رسول الله؟ قال: «**رحم الله المحلقين**».

قالوا: والمقصرين يا رسول الله؟ قال: «**رحم الله المحلقين**». قالوا: والمقصرين يا رسول الله؟ قال: «**والمقصرين**»[1].

- والحلق هو إزالة شعر الرأس بالموسى.
- والتقصير هو الأخذ من شعر الرأس قدر الأنملة.

حكمه: الجمهور على أنه واجب يُجبر تركه بدم.

والشافعية على أنه ركن من أركان الحج.

(١) رواه البخاري ومسلم.

وقته:

وقت الحلق أو التقصير في الحج بعد رمي جمرة العقبة يوم النحر؛ وذلك لأن رسول الله ﷺ أمر معمر بن عبدالله أن يحلق بعدما نحر هديه بمنى، قال معمر: «أمرني أن أحلقه»(١).

ووقته في العمرة بعد السعي بين الصفا والمروة.

- ويكون الحلق أو التقصير في الحرم.

- يبدأ في الحلق بالجانب الأيمن ثم الأيسر مستقبلًا القبلة ويكبر، ثم يصلي بعد الانتهاء منه.

هذا... ولأبي حنيفة في ذلك قصة عجيبة يقول فيها: «أخطأت في خمسة أبواب من المناسك فعلمنيها حجام!؟.

وذلك أني حين أردت أن أحلق رأسي وقفت على حجَّام فقلت له: بكم تحلق رأسي؟ فقال: أعراقي أنت؟ قلت: نعم، قال: النسك لا يشارط عليه؛ اجلس، فجلست منحرفًا عن القبلة فقال لي: حرِّك وجهك إلى القبلة، وأردت أن أحلق رأسي من الجانب الأيسر فقال: أدر الشق الأيمن من رأسك فأدرته، وجعل يحلق وأنا ساكت فقال لي: كبرِّ، فجعلت أكبر حتى قمت لأذهب فقال لي أين تريد؟ فقلت: رحلي. فقال: صلِّ ركعتين ثم امض، فقلت: ما ينبغي أن يكون ما

(١) رواه أحمد والطبراني.

رأيت من عقل هذا الحجام، فقلت له: من أين لك ما أمرتني به؟ قال: رأيت عطاء بن أبي رباح يفعل هذا»!! ذكره المحب الطبري.

- إذا كانت رأس الحاج أو المعتمر بدون شعر (أصلع) قال الجمهور: عليه إمرار الموسى على رأسه استحبابًا، وقال أبو حنيفة: عليه إمرار الموسى على رأسه وجوبًا.

كذلك يستحب لمن حلق أو قصر أن يأخذ من شاربه ويقلم أظفاره، قال ابن المنذر: ثبت أن رسول الله ﷺ لما حلق رأسه قلم أظفاره، وكان ابن عمر رضي الله عنهما إذا حلق في حج أو عمرة أخذ من لحيته وشاربه.

هل على النساء حلق أو تقصير؟

- النساء عليهن تقصير وليس عليهن حلق؛ فقد روي عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «وليس على النساء حلق وإنما على النساء التقصير»[1].

والمقدار الذي تأخذه المرأة من شعرها ضئيل، فابن عمر قال «المرأة إذا أرادت أن تقصر جمعت شعرها إلى مقدم رأسها ثم أخذت منه أنملة». والشافعية يقولون: أقل ما يجزئ ثلاث شعرات.

يقول أ.د. زغلول النجار عن أسرار الحلق والتقصير ورمي الجمرات:

---

(١) رواه أبو داود.

«والحلق أو التقصير يرمزان للتطهر من الذنوب والآثام، ورمي الجمار تأكيد لحتمية انتصار العبد المؤمن على الشيطان في هذا الصراع، والرجم رمز لذلك الانتصار وعهد مع الله تعالى على تحقيقه».

طواف الإفاضة:

طواف الإفاضة ركن من أركان الحج إذا لم يفعله الحاج بطل حجه.

ثبت ذلك بالإجماع لقوله تعالى: ﴿وَلْيَطَّوَّفُوا بِالْبَيْتِ الْعَتِيقِ﴾ ولابد من تعيين النية له عند الإمام أحمد بخلاف باقي الأئمة الذين يرون أن نية الحج تسري عليه ولا يحتاج إلى نية مستقلة.

- عدد أشواطه:

سبعة أشواط عند الجمهور.

- وقته:

عند الشافعي وأحمد أول وقته نصف الليل من ليلة النحر ولا حدَّ لآخره، ولا يحل له النساء حتى ينتهي من الطواف، ولا يجب بتأخيره دم (أي تأخيره عن أيام التشريق) لكن يكره تأخيره؛ أما أفضل الأوقات لتأديته ضحوة النهار يوم النحر.

وعند أبي حنيفة ومالك أول وقته طلوع فجر يوم النحر، وآخر وقته عند أبي حنيفة أَيَّ يومٍ من أيام النحر، وتعجيله أفضل من التأخير، ويمتد آخر وقته إلى نهاية ذي الحجة فإن أخره عن ذلك لزمه دم مع صحة حجه.

- ويستحب تعجيل طواف الإفاضة للنساء يوم النحر مخافة الحيض فقد كانت عائشة تأمر النساء بذلك، ويرى عطاء: أنها تزور البيت قبل أن ترمي الجمرة وقبل الذبح.

وهل تستعمل دواءً يرفع الحيض أو ينهيه حتى تستطيع الطواف؟

روى سعيد بن منصور عن ابن عمر رضي الله عنهما أنه سئل عن المرأة تشتري الدواء ليرتفع حيضها لتنفر، فلم ير به بأسًا ونعت[1] لهن ماء الأراك فلا مانع أن تستخدم المرأة دواء لذلك.

يقول أ.د. زغلول النجار عن أسرار التحلل من الإحرام وطواف كل من الإفاضة والوداع:

«والتحلل من الإحرام وطواف كل من الإفاضة والوداع رمز لانتهاء هذه الشعيرة العظمى، وعودة إلى دوامة الحياة من جديد بذنب مغفور وعمل صالح مقبول وتجارة مع الله تعالى لن تبور، ومن هنا كان واجب كل عائد من أداء فريضة الحج أن يبدأ مع ربه صفحة جديدة إطارها الفهم الصحيح لرسالة الإنسان في هذه الحياة، عبدًا لله تعالى يعبده بما أمر، ويجاهد بصدق من أجل حسن القيام بواجبات الاستخلاف في الأرض بعمارتها وإقامة دين الله وعدله على سطحها، والدعوة إلى هذا الدين بالكلمة الطيبة والحجة الواضحة، والمنطق

---

(١) نعت: أي وصفه لهن.

السوي».

النزول بوادي المحصب

هو وادٍ بين جبل النور والحجون: فحين نفر رسول الله ﷺ من منى إلى مكة نزل بالمحصب، وصلى الظهر والعصر والمغرب والعشاء، ثم رقد به رقدة، وكان ابن عمر رضي الله عنهما يفعل ذلك.

فهل يستحب النزول بهذا الوادي؟

قالت السيدة عائشة: ليس بسنة؛ فمن شاء نزل به ومن شاء لم ينزل.

وقال الترمذي: استحب بعض أهل العلم نزول الأبطح وليس بواجب، ولكن من أحب نزل وإلا فلا ينزل.

الحكمة من النزول في هذا المكان:

قال ابن القيم في ذلك: قصد النبي ﷺ إظهار شعائر الإسلام في المكان الذي أظهر فيه شعائر الكفر والعداوة لله تعالى ولرسوله ﷺ... هذه كانت عادته صلوات الله وسلامه عليه أن يقيم شعائر التوحيد في مواضع شعائر الكفر والشرك، ومثال ذلك أمر النبي ﷺ أن يبنى مسجد الطائف موضع اللات والعزى.

طواف الوداع:

هو آخر ما يفعله الحاج عندما يريد أن يسافر ويترك مكة فيودع البيت الحرام بالطواف حول الكعبة فيكون آخر ما يقع عليه بصره هو رؤية بيت الله، كما كان أول ما وقع عليه بصره هو الكعبة أيضًا حينما طاف بها طواف القدوم.

- يسمى طواف الوداع بطواف الصدر، وليس فيه رَمَل(١).

- ليس على الحاج المكيِّ (الذي يقيم بمكة) طواف وداع؛ لأنه ملازم لها.

أدلة طواف الوداع:

روي عن عمر ﷺ أنه قال: «آخر النسك الطواف بالبيت»[٢].

- الحائض مثل المكيِّ ليس عليها طواف وداع؛ لما روي عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال: «رخص للحائض أن تنفر إذا حاضت»[٣]

وفي رواية قال: «أمر الناس أن يكون آخر عهدهم بالبيت إلا أنه خفف عن المرأة الحائض».

وروي عن صفية زوج النبي ﷺ أنها حاضت فذكر ذلك للنبي ﷺ فقال:

---

(١) رَمَل: أي إسراع في المشي- كما سبق.

(٢) رواه مالك.

(٣) رواه الشيخان.

«**أحابستنا هي؟**» فقالوا: إنها قد أفاضت قال: «**فلا إذًا**»[1].

مشروعيته:

العلماء متفقون على مشروعية طواف الوداع؛ فقد روي عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: كان الناس ينصرفون في كل وجه، فقال النبي ﷺ: «**لا ينفر أحدكم حتى يكون آخر عهده بالبيت**»[2].

أما حكم طواف الوداع فمختلف فيه:

- فهو واجب يلزم بتركه دم «عند الجمهور».

- وهو سنة لا يجب بتركه شيء عند مالك، وقول للشافعي.

أما وقته:

فبعد أن ينتهي الحاج من جميع أعماله وينوي السفر فليجعل آخر شيء يفعله طوافه بالبيت.

يقول الإمام الغزالي:

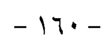
«مهما عنَّ له الرجوع إلى الوطن بعد الفراغ من إتمام الحج والعمرة فلينجز أولًا أشغاله: وليشد رحاله، وليجعل آخر أشغاله وداع البيت؛ ووداعه بأن يطوف به سبعًا كما سبق ولكن من غير رَمَلٍ واضطباع، فإذا فرغ منه صلى

(١) رواه الشيخان.

(٢) رواه مسلم وأبو داود.

ركعتين خلف المقام، وشرب من ماء زمزم، ثم يأتي الملتزم ويدعو ويتضرع ويقول: اللهم إن البيت بيتك والعبد عبدك وابن عبدك وابن أمتك، حملتني على ما سخرت لي من خلقك حتى سيرتني في بلادك، وبلغتني بنعمتك حتى أعنتني على قضاء مناسكك؛ فإن كنت رضيت عني فازدد عني رضًا، وإلا فَمُنَّ الآن قبل تباعدي عن بيتك، هذا أوان انصرافي إن أذنت لي غير مستبدل بك ولا ببيتك ولا راغب عنك ولا عن بيتك، اللهم أصحبني العافية في بدني، والعصمة في ديني، وأحسن منقلبي، وارزقني طاعتك أبدًا ما أبقيتني، واجمع لي خيري الدنيا والآخرة إنك على كل شيء قدير، اللهم لا تجعل هذا آخر عهدي ببيتك الحرام، وإن جعلته آخر عهدي فعوضني عنه الجنة»!

والأحب ألَّا يصرف بصره عن البيت حتى يغيب عنه.


- ١٦٠ -

العمرة

سبق أن عرفنا العمرة وبينا حكمها وأنها مشروعة، والأدلة على ذلك كثيرة وقد ذكرنا منها: عن أبي هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: «**العمرة إلى العمرة كفارة لما بينهما، والحج المبرور ليس له جزاء إلا الجنة**»[1] وأيضًا: «**تابعوا بين الحج والعمرة**». والأدلة على مشروعيتها كثيرة ولكن .. هل تتكرر العمرة.

أكثر أهل العلم على جواز تكرارها، والدليل على ذلك أن السيدة عائشة رضي الله عنها اعتمرت في سنةٍ ثلاث مرات.

وقتها:

ذهب جمهور العلماء إلى أن وقت العمرة جميع أشهر السنة فتجوز في كل أيام العام.

وعند أبي حنيفة تكره العمرة في خمسة أيام: يوم عرفة، ويوم النحر، وأيام التشريق الثلاثة.

العمرة في أشهر الحج:

يجوز للمعتمر- الذي نوى العمرة في أشهر الحج- العمرة من غير أن يحج؛ وذلك لأن عمر بن الخطاب ﷺ اعتمر في شوال ورجع إلى المدينة دون أن يحج.

---

(١) رواه أحمد والبخاري ومسلم.

والاعتمار قبل الحج جائز؛ لفعل عمر بن الخطاب ذلك.

عدد عمره ﷺ:

سبق أن ذكرنا أن النبي صلوات الله وسلامه عليه اعتمر أربع عُمَر بخلاف حجه فقد حج حجة الوداع فقط.

هل للعمرة ميقات؟:

إذا كان خارج مواقيت الحج فلابد أن يحرم من هذه المواقيت.

- وإذا كان داخل المواقيت فميقات العمرة الحل ولو كان بالحرم لحديث عائشة حينما خرجت إلى التنعيم وأحرمت منه وأن ذلك كان بأمر النبي ﷺ.

أما إنه لابد أن يحرم المعتمر من المواقيت؛ فلما روي أن زيد بن جبير أتى عبدالله بن عمر فسأله: من أين يجوز أن أعتمر؟ قال: فرضها رسول الله ﷺ لأهل نجد «**قرنًا**» ولأهل المدينة «ذا الحليفة» ولأهل الشام «الجُحْفة»[1].

أفضل أوقات العمرة:

عمرة رمضان؛ حيث إنها تعدل حجة في الثواب ولكن لا تسقط الفريضة؛ فقد روي عن ابن عباس رضي الله عنهما أن النبي ﷺ قال: «**عمرة في رمضان**

---

(١) رواه أحمد والبخاري ومسلم.

تعدل حجة»[1].

كيفية أداء العمرة:

عرفنا كيف نؤدي مناسك الحج فيما سبق، والآن أقدم تلخيصًا لأعمال العمرة.

أولًا: الإحرام:

عندما تصل أخي المعتمر إلى الميقات فعليك أن:

- تغتسل وتنظف وتعطر بدنك، ثم تلبس إزارًا ورداءً؛ على أن تكشف رأسك، أما المرأة: فتحرم في ملابسها العادية التي ليس فيها زينة ولا واصفة لما تحتها ولا شفافة.

- ثم تنوي أن تدخل النسك بقلبك وتتلفظ بلسانك قائلًا: «لبيك عمرة» أو «اللهم لبيك عمرة».

- ثم يلبي المعتمر ويرفع صوته بهذا النداء الجميل والشعار الذي يوحد القلوب والألسنة: (لبيك اللهم لبيك، لبيك لا شريك لك لبيك، إن الحمد والنعمة لك والملك لا شريك لك) ويستحب الإكثار من التلبية ومن ذكر الله.

ثانيًا: الطواف:

إذا وصلت إلى المسجد الحرام فادخل برجلك اليمنى وقل دعاء دخول

---

(١) رواه أحمد وابن ماجه.

المسجد، وحينما تصل إلى الكعبة المشرفة اقطع على الفور التلبية، واجعل الحجر الأسود عن يمينك والكعبة عن يسارك وطف حول الكعبة سبع مرات كاشفًا الكتف الأيمن ومسرعًا في الأشواط الثلاثة الأولى وماشيًا في الأربعة الباقية، مبتدأ بالحجر الأسود، واستلمه بيمينك وقبله إن استطعت وقل عند استلامه: «بسم الله والله أكبر» ثم قبل ما استلمت به، وكلما حاذيت الركن اليماني فاستلمه بدون تقبيل وقل: بسم الله والله أكبر، وقل بين الركنين في كل شوط: «ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار».

فإذا انتهيت من الطواف فَصَلِّ ركعتين خلف مقام إبراهيم إن تيسر فإن لم يتيسر ففي أي مكان من المسجد الحرام.

تقرأ بعد الفاتحة في الركعة الأولى: ﴿ قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْكَٰفِرُونَ ۝١ ﴾[1] وفي الركعة الثانية ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١﴾[2].

ثم اقصد الحجر الأسود فاستلمه بيمينك إن تيسر ذلك.

ثالثًا: السعي:

عليك أن تخرج إلى جبل الصفا وتصعد عليه (وهو الأفضل) أو قف عنده واقرأ قول الحق سبحانه: ﴿ ۞ إِنَّ ٱلصَّفَا وَٱلْمَرْوَةَ مِن شَعَآئِرِ ٱللَّهِ ۖ فَمَنْ حَجَّ ٱلْبَيْتَ

---

(١) سورة الكافرون آية: ١.

(٢) سورة الإخلاص آية: ١.

أَوِ ٱعۡتَمَرَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيۡهِ أَن يَطَّوَّفَ بِهِمَاۚ وَمَن تَطَوَّعَ خَيۡرٗا فَإِنَّ ٱللَّهَ شَاكِرٌ عَلِيمٌ ﴿١٥٨﴾﴾[1] فتبدأ سعيك بما بدأ الله به تبدأ بالصفا وتختم بالمروة، وعندما تبدأ بالصفا يستحب أن تستقبل القبلة وتقول: «الحمد لله، الله أكبر لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير لا إله إلا الله وحده أنجز وعده ونصر عبده وهزم الأحزاب وحده».

ثم امشِ إلى المروة وأسرع بين العلمين الأخضرين.

وليس على المرأة أن تسرع في مشيها.

فإذا وصلت إلى المروة فافعل كما فعلت على الصفا ما عدا قراءة الآية المذكورة؛ فإنها تقال عند الصفا في الشوط الأول فقط، كرر السعي سبع مرات؛ فالذهاب يحسب مرة، والرجوع مرة ثانية.

رابعًا: الحلق أو التقصير:

- إذا أكملت السعي فاحلق شعرك أو قصره، والحلق أفضل.
- وإذا كان قدومك مكة قريبًا من وقت الحج فالتقصير أفضل لتحلق بقية شعرك في الحج.
- أما المرأة فتجمع شعرها وتأخذ منه قدر أنملة.

---

(١) سورة البقرة آية: ١٥٨.

جمع الصلاة وقصرها:

للحاج أن يجمع الصلاة الرباعية فيجمع الظهر والعصر جمع تقديم أو تأخير والمغرب والعشاء جمع تأخير، وذلك بحسب ظروف سفره.

يظل الحاج يجمع ويقصر طوال تأدية فريضة الحج.

هذا... والفقهاء متفقون على أن المسافر يتم الصلاة وجوبًا في ثلاث حالات: الأولى: العودة إلى بلده أو مكانه الذي سافر منه، والثانية: إذا نوى الإقامة عددًا معينًا من الأيام. والثالثة: إذا صلى وراء من يتم صلاته.

ما الدماء الواجبة في الحج؟

من الدماء الواجبة في الإحرام: دم القران: وهو شاة أو ناقة أو بقرة أو سُبع ناقة أو سُبْع بقرة.

- دم الإحصار: وهو شاة تذبح في الحرم.
- دم التمتع، ودم الفوات.
- الدم الواجب لارتكاب محظور كالتطيب مثلًا.
- الدم الواجب بسبب الجماع في النسك.
- الدم الواجب للتعرض لشجر الحرم أو صيده بالقطع أو القتل.
- الدم الواجب لأجل ترك واجب من الواجبات كالإحرام من الميقات.

ما تخالف فيه المرأة الرجل:

١- تغطي رأسها، وتكشف وجهها وكفيها؛ حيث إن إحرامها في وجهها

وكفيها.

٢- تلبي بصوت منخفض فلا ترفع صوتها.

٣- لا تسرع في الطواف أو السعي (فليس عليها اضطباع ولا رمل).

٤- تقصّر ولا تحلق؛ فحرمة حلق رأس المرأة متفق عليها.

٥- يجوز أن تلبس كل شيء حتى ولو كان مخيطًا عدا القفازين والنقاب.

٦- عدم التزاحم عند الحجر الأسود مع الرجال.

٧- لا تطوف بالبيت وهي حائض أو نفساء.

٨- إذا جاء وقت سفرها وهي حائض أو نفساء سقط عنها طواف الوداع؛ لأن النبي ﷺ رخص لهن في ذلك.

كيف يؤدى الحج باختصار:

قبيل الميقات: يغتسل الحاج أو يتوضأ، ويتطيب بعدما يأخذ من شاربه، ويقص شعره وأظفاره، ثم يلبس لباس الإحرام.

بعد بلوغ الميقات: يصلي ركعتين، ثم يحرم أي ينوي الحج أو العمرة أو هما معًا، والإحرام ركن؛ أما تحديد نوع النسك فليس بفرض؛ لأنه سبق أن إطلاق النية دون تحديد صحيح.

يلبي المحرم مباشرة بعد الإحرام بالصيغة التي أولها: «لبيك اللهم لبيك»، ويرفع صوته بالتلبية كلما علا أو هبط.... إلخ.

- يتجنب الجماع ومقدماته حتى لا يبطل الحج، وكذلك لا خصام ولا جدال

ولا يزوج غيره ولا نفسه.

ويبتعد عن الثوب الذي به خياطة وكذلك الحذاء الذي يغطي ما فوق الكعبين أما دونهما فلا بأس. ويبتعد عن ستر الرأس ومس الطيب وحلق الشعر وقص الأظفار وصيد البر مطلقًا وقطع الشجر في الحرم والحشيش كذلك.

عند دخول مكة: يستحب له دخولها من أعلاها وإن أمكن أن يغتسل بعد دخولها من بئر بالزاهر يسمى «ذي طوى» فعل.

بعد ذلك يتوجه إلى كعبة الله فيدخلها من «باب السلام» خاشعًا خاضعًا متواضعًا ملبيًا مراعيًا آداب دخول البيت الحرام ذاكرًا من الدعاء ما شاء، وحينما يقع بصره على «الكعبة» لابد أن تأخذه الجلالة والمهابة والعظمة فيرفع يديه إلى السماء ويناجي رب الأرض والسماء بالدعاء الخاص برؤية الكعبة- وقد سبق ذكره- ثم يعمد مباشرة إلى «الحجر الأسود» فإن أمكن وتيسر له أن يقبله فليفعل أو يستلمه بيده فليفعل أو يشير إليه فليفعل ثم يقف بحذائه في خشوع ويتذكر ما قيل في هذا الحجر، ويقول ما يحفظه من أدعية.

ثم يبدأ في الطواف بالبيت؛ يسرع في الأشواط الثلاثة الأولى ويمشي في الأربعة المتبقية؛ يقبل إن استطاع الحجر مع كل شوط وكذلك يسن له استلام الركن اليماني...

فإذا ما وفق وانتهى من الطواف حول الكعبة يصلي خلف مقام إبراهيم عليه السلام ركعتي الطواف ثم يشرب من أطهر ماء «ماء زمزم» فـ«زمزم لما شرب له»

ثم يتجه إلى الملتزم فيدعو الله بما شاء ويطلب من خيري الدنيا والآخرة.

وبعدها يقبل أو يشير إلى الحجر الأسود ويخرج إلى السعي بين الصفا والمروة فيخرج من باب الصفا وهو يتلو قول الحق سبحانه: ﴿ إِنَّ ٱلصَّفَا وَٱلْمَرْوَةَ مِن شَعَآئِرِ ٱللَّهِ ۖ فَمَنْ حَجَّ ٱلْبَيْتَ أَوِ ٱعْتَمَرَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَن يَطَّوَّفَ بِهِمَا ۚ وَمَن تَطَوَّعَ خَيْرًا فَإِنَّ ٱللَّهَ شَاكِرٌ عَلِيمٌ ﴾ وعندما يكرمه الله بالصعود فوق الصفا عليه أن يتوجه إلى الكعبة ويدعو الله تعالى بالدعاء المأثور في هذا المكان ثم ينزل فيمشي ويسعى ذاكرًا الله داعيًا إياه.

وعندما يصل إلى الميلين الأخضرين يهرول في المشي ثم يمشي بعدهما حتى يصل إلى المروة وعندها يدعو الله ناحية الكعبة وهذا هو الشوط الأول من سبعة أشواط يفعل فيها مثلما فعل في الأول، وكما تقدم فالسعي واجب فمن تركه فعليه دم.

ويبقى القارن والمفرد محرمان بعد السعي؛ أما المتمتع فيحلق رأسه أو يقصر وبهذا قد تمت عمرته، ثم يرجع المتمتع فيحرم بالحج في اليوم الثامن من ذي الحجة فيخرج الجميع (القارن والمتمتع والمفرد) إلى المبيت بمنى، وعندما تطلع الشمس من يوم التاسع من ذي الحجة يذهب إلى عرفات فينزل عند مسجد نمرة فيجهز نفسه بالاغتسال ليصلي في مسجد نمرة الظهر والعصر جمع تقديم مع الإمام الذي يقصر الصلاة فيهما إن تيسر له ذلك وإلا فليصلِّ مع جماعة أخرى جمعًا وقصرًا، ويبدأ الوقوف بعرفة بعد الزوال فيقف بعرفة وكلها

موقف، ويستحب أن يقف «بالصخرات» حيث وقف المصطفى ﷺ إن تيسر له ذلك. ولا يزاحم للصعود إلى جبل الرحمة فليس ذلك من السنة فيدعو الله تعالى ويذكره ويهلله حتى إذا جاء الليل أفاض إلى المزدلفة ليصلي بها المغرب والعشاء جمع تأخير وكذلك يبيت بها.

ثم يقف بالمشعر الحرام عند الفجر فالوقوف به واجب ويظل يذكر الله تعالى حتى يطلع النهار بطلوع شمس الله، فيحضر الجمرات- سبعون أو يزيد- وينصرف إلى منى بعد طلوع الشمس يرمي جمرة العقبة بسبع حصيات، وبعدها يقوم بذبح هديه فإن لم يستطع الذبح شاهده وهو يذبح، ثم يحلق شعره أو يقصر وبعدها يحل له كل شيء عدا النساء.

وبعدها يرجع إلى أم القرى (مكة) فيطوف بالكعبة طواف الإفاضة.

فمن كان متمتعًا سعى بعد الطواف، وإن كان مُفرِدًا أو قارنًا لا سعي عليه إن كان قد سعى عند القدوم، وبعد طواف الإفاضة يحل له كل شيء حتى النساء، وعليه بعد ذلك العودة إلى منى فيبيت بها فهو واجب يلزم بتركه دم.

ويرمي الجمرات عند زوال الشمس من اليوم الحادي عشر من ذي الحجة فيبدأ بالجمرة التي تلي منى، ثم يرمي الجمرة الوسطى، ويقف عند ذلك فيدعو الله تعالى ويذكره، ثم يرمي جمرة العقبة ولا يقف عندها.

يرمي كل جمرة بسبع حصيات قبل الغروب يفعل ذلك في اليوم الثاني عشر (أي ثاني أيام التشريق الثلاثة)، ثم بعد ذلك يخير بين أن يبيت ويرمي في اليوم

الثالث عشر (ثالث أيام التشريق) وبين أن ينزل إلى مكة ثم يسافر عائدًا إلى بلاده أو الذهاب إلى أي مكان آخر، والرمي واجب فمن تركه فعليه دم.

ومن قرر السفر فليودع بيت الله بالطواف طواف الوداع فهو واجب فمن تركه وكان قريبًا من مكة عاد وطاف طواف الوداع وإلا أرسل من يذبح عنه شاة.

أعمال الحج والعمرة باختصار:

أعمال العمرة: الإحرام، الطواف، السعي، الحلق؛ ويزاد عليها للحج: الوقوف بعرفة ورمي الجمار، وطواف الإفاضة، والمبيت بمنى والذبح والحلق أو التقصير.

الإحصار:

تعريفه:

هو المنع والحبس، قال الله تعالى: ﴿وَأَتِمُّوا۟ ٱلْحَجَّ وَٱلْعُمْرَةَ لِلَّهِ ۚ فَإِنْ أُحْصِرْتُمْ فَمَا ٱسْتَيْسَرَ مِنَ ٱلْهَدْىِ﴾[1]، وسبب نزول هذه الآية: منع النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم وحصره وأصحابه في الحديبية عن المسجد الحرام.

ويراد بالإحصار: المنع عن الطواف في العمرة، وعن الوقوف بعرفة أو طواف الإفاضة في الحج.

السبب في الإحصار:

اختلف فيه؛ فأكثر العلماء قالوا: يكون الإحصار بسبب كل حابس أو مانع يمنع الحاج عن البيت من عدو أو مرض أو خوف أو ضياع نفقة، ودليل ذلك قوله تعالى: "فإن أحصرتم"، وقال بعض العلماء: الإحصار لا يكون إلا بالعدو.

ولعل الرأي الأول أقوى.

ماذا على المحصر؟

عليه شاة فما فوقها؛ لقوله تعالى: ﴿وَأَتِمُّوا۟ ٱلْحَجَّ وَٱلْعُمْرَةَ لِلَّهِ ۚ فَإِنْ أُحْصِرْتُمْ فَمَا ٱسْتَيْسَرَ مِنَ ٱلْهَدْىِ﴾، ولما رواه ابن عباس رضي الله تعالى

(١) البقرة: ١٩٦.

عنه أن النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم قد أحصر فحلق وجامع نساءه ونحر هديه حتى اعتمر عامًا قابلًا[1].

موضع ذبح هدي الإحصار:

أما محل نحر هدي المحصر ففيه آراء؛ منها:

أ- يذبح هديه حيث يحل في حرم أو حل.

ب- لا ينحر إلا في الحرم.

جـ- إن استطاع البعث به إلى الحرم وجب أن يكون في الحرم ولا يحل حتى ينحر في محله وإن لم يستطع البعث به إلى الحرم نحر في محل إحصاره.

لا قضاء على المحصر.

من ذهب ليعتمر أو ليحج فأحصر فعليه ذبح ما استيسر من الهدي شاة فما فوقها ولا قضاء عليه؛ لما روي عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما في قوله تعالى: ﴿فَإِنْ أُحْصِرْتُمْ فَمَا ٱسْتَيْسَرَ مِنَ ٱلْهَدْيِ﴾: أما إن كان حجة الإسلام فعليه قضاؤها وإن كان حجة بعد حج الفريضة فلا قضاء عليه.

اشتراط المحرم التحلل بعذر المرض ونحوه.

ذهب كثير من أهل العلم أن جواز اشتراط المحرم عند إحرامه أنه إن مرض أو أحصر تحلل؛ لما روي عن ابن عباس رضي الله عنهما أن النبي صلى الله

---

(١) رواه البخاري.

عليه وعلى آله وسلم قال لضباعة: «**حجي واشترطي أن محلي حيث تحبسني**».

فإذا أحصر بسبب من الأسباب من مرض أو غيره إذا اشترطه في إحرامه فله أن يتحلل وليس عليه دم ولا صوم.

والله أعلم.

- جاء في الدستور الخالد.. القرآن الكريم: ﴿ وَٱلتِّينِ وَٱلزَّيْتُونِ ۝ وَطُورِ سِينِينَ ۝ وَهَٰذَا ٱلْبَلَدِ ٱلْأَمِينِ ﴾.

قال المفسرون: البلد الأمين مكة المكرمة.

- وجاء في سنة خير الأنام عليه أفضل الصلاة وأتم السلام:

١- عن قتادة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ توضأ ثم صلى بأرض سعد بأرض الحرة عند بيوت السقيا ثم قال: «**اللهم إن إبراهيم خليلك وعبدك ونبيك دعاك لأهل مكة، وأنا محمد عبدك ورسولك أدعوك لأهل المدينة مثل ما دعاك إبراهيم لمكة ندعوك أن تبارك لهم في صاعهم ومدهم وثمارهم، اللهم حبب إلينا المدينة كما حببت إلينا مكة واجعل ما بها من وباء بحمٍّ (اسم مكان به أوبئة كثيرة) اللهم إني حرمت ما بين لابتيها (المقصود المدينة- واللابة أرض بها حجارة سوداء) كما حرمت على لسان إبراهيم الحرم**»[1].

٢- وعن الصميتة- امرأة من بني ليث- رضي الله عنها أنها سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**من استطاع منكم ألا يموت إلا بالمدينة فليمت بها، فإنه من يمت بها نشفع له أو نشهد له**»[2].

(١) رواه أحمد.

(٢) رواه ابن حبان.

٣- وعن عبادة بن الصامت ﷺ عن رسول الله ﷺ أنه قال: «**اللهم من ظلم أهل المدينة وأخافهم فأخفه وعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين ولا يقبل منه صرف ولا عدل**»[١] (بمعنى لا نفل ولا فرض).

هذه الأحاديث وغيرها مما يدل دلالة واضحة على فضل المدينة النبوية على ساكنها أفضل الصلاة وأتم التسليم وأن حرمها كالحرم المكي لا يقطع شجره ولا يصاد صيده- على ما عليه الجمهور- ومن صاد أو قطع اعتبر آثمًا ولا شيء عليه.

ومن أروع ما جاء في فضل مكة والمدينة ما قاله الإمام الغزالي قال: روي عن الحسن البصري ﷺ أن صوم يوم فيها-أي مكة- بمائة ألف يوم، وصدقة درهم بمائة ألف درهم، وكذلك كل حسنة بمائة ألف، ويقال: طواف سبعة أسابيع يعدل عمرة وثلاث عمر حجة، وفي الخبر الصحيح: «**عُمْرَةٌ فِي رَمَضَانَ كَحَجةٍ معي**»[٢].

وفي الخبر: «أنا أول من تنشق عنه الأرض ثم آتي أهل البقيع فيحشرون معي ثم آتي أهل مكة فأحشر بين الحْرمين» وفي الخبر: «إن آدم ﷺ لما قضى مناسكه لقيته الملائكة فقالوا بر حجك يا آدم لقد حججنا هذا البيت قبلك بألفي عامٍ» وجاء في الأثر: «إن الله ﷻ ينظر في كل ليلة إلى أهل الأرض فأول من ينظر إليه

---

(١) رواه الطبراني.

(٢) أخرجه الطبراني.

أهل الحرم وأول من ينظر إليه من أهل الحرم أهل المسجد الحرام فمن رآه طائفًا غفر له ومن رآه مصليًا غفر له ومن رآه قائمًا مستقبل الكعبة غفر له». وفي الخبر «استكثروا من الطواف بهذا البيت قبل أن يرفع فقد هدم مرتين ويرفع في الثالثة» وروي عن علي ﷺ عن النبي ﷺ أنه قال: قال الله تعالى: «إذا أردت أن أخرب الدنيا بدأت ببيتي فخربته ثم أخرب الدنيا على أثره».

ثم تحدث الإمام الغزالي عن أفضيلة المقام بمكة المكرمة حرسها الله تعالى وكراهيته فقال:

كره الخائفون المحتاطون من العلماء المقام بمكة لمعان ثلاثة:

الأول: خوف التبرم والأنس بالبيت.

فإن ذلك ربما يؤذي في تسكين حرقة القلب في الاحترام، وهكذا كان عمر ﷺ يضرب الحجاج إذا حجوا ويقول: يا أهل اليمن يمنكم، ويا أهل الشام شامكم، ويا أهل العراق عراقكم؛ ولذلك همَّ عمر ﷺ بمنع الناس من كثرة الطواف، وقال: خشيت أن يأنس الناس بهذا البيت.

الثاني: تهييج الشوق بالمفارقة لتنبعث داعية العود

فإن الله تعالى جعل البيت مثابة للناس وأمنًا يثوبون ويعودون إليه مرة بعد أخرى ولا يقضون منه وطرًا وقال بعضهم: تكون في بلد وقلبك مشتاق إلى مكة متعلق بهذا البيت خير لك من أن تكون فيه وأنت متبرم وقلبك في بلد آخر.

وقال بعض السلف: كم من رجل بخراسان وهو أقرب إلى هذا البيت ممن يطوف به، ويقال: إن لله تعالى عبادًا تطوف بهم الكعبة تقربًا إلى الله ﷻ...

ثم انتقل الغزالي بحديثه الشيق إلى أفضلية المدينة الشريفة على سائر البلاد فقال:

ما بعد مكة بقعة أفضل من مدينة رسول الله ﷺ؛ فالأعمال فيها أيضًا مضاعفة؛ قال ﷺ: «**صلاة في مسجدي هذا خير من ألف صلاةٍ فيما سواه إلا المسجد الحرام**»[1] وكذلك كل عمل بالمدينة بألف، وبعد مدينته الأرض المقدسة فإن الصلاة فيها بخمسمائة صلاة فيما سواها إلا المسجد الحرام، وكذلك سائر الأعمال، وقال ﷺ: «**من صبر على شدتها ولأوائها كنت له شفيعًا يوم القيامة**» وقال ﷺ: «**من استطاع أن يموت بالمدينة فليمت فإنه لن يموت بها أحد إلا كنت له شفيعًا يوم القيامة**»[2] وما بعد هذه البقاع الثلاث فالمواضع فيها متساوية إلا الثغور فإن المقام بها للمرابطة فيها فيه فضل عظيم؛ ولذلك قال ﷺ: «**لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد: المسجد الحرام ومسجدي هذا والمسجد الأقصى**»[3].

---

(١) رواه البيهقي.

(٢) أخرجه الترمذي وابن ماجه.

(٣) متفق عليه.

أما المقام فالأولى بالمريد أن يلازم مكانه إذا لم يكن قصده من السفر استفادة العلم مهما سلم له حاله في وطنه، فإن لم يسلم فيطلب من المواضع ما هو أقرب إلى الخمول وأسلم للدين وأفرغ للقلب وأيسر للعبادة، فهو أفضل المواضع له، قال ﷺ «**البلاد بلاد الله ﷻ والخلق عباده فأي موضع رأيت فيه رفقًا فأقم واحمد الله تعالى**»[1].

وفي الخبر: «من بورك له في شيء فليلزمه ومن جعلت معيشته في شيء فلا ينتقل عنه حتى يتغير عليه».

وقال أبو نعيم: رأيت سفيان الثوري وقد جعل جرابه على كتفه وأخذ نعليه بيده، فقلت إلى أين يا أبا عبدالله؟ قال: إلى بلد أملأ فيه جرابي بدرهم.

وفي حكاية أخرى: بلغني عن قرية فيها رخص أقيم فيها، قال: فقلت أو تفعل هذا يا أبا عبدالله؟ فقال: نعم إذا سمعت برخص في بلد فاقصده فإنه أسلم لدينك وأقل لهمك، وكان يقول: هذا زمان سوء لا يؤمن فيه على الخاملين فكيف بالمشهورين؟ هذا زمان تنقل ينتقل الرجل من قرية إلى قرية يفر بدينه من الفتن.

ويحكى عنه أنه قال: والله ما أدري أي البلاد أسكن؟ فقيل له: خراسان، فقال: مذاهب مختلفة وآراء فاسدة؟ قيل: فالشام، قال: يشار إليك بالأصابع-

(١) أخرجه أحمد والطبراني.

أراد الشهرة- قيل: فالعراق. قال: بلد الجبابرة. قيل مكة. قال: مكة تذيب الكيس والبدن. وقال له رجل غريب: عزمت على المجاورة بمكة فأوصني. قال: أوصيك بثلاث: لا تصلين في الصف الأول، ولا تصحبن قرشيًا، ولا تظهرن صدقة.

وإنما كره الصف الأول لأنه يشتهر فيتفقد إذا غاب فيختلط بعمله التزين والتصنع.

وإليك أخي القارئ الحبيب جملة من آداب زيارة أفضل خلق الله ﷺ:

ولكن ماذا يفعل من أراد زيارة مدينة رسول الله ﷺ؟ وما حكمة زيارة مدينة رسول الله ﷺ؟

أولًا: إذا وقع بصره على حيطان المدينة وأشجارها قال: «اللهم هذا حرم رسولك فاجعله لي وقاية من النار وأمانًا من العذاب وسوء الحساب». وليغتسل قبل الدخول من بئر الحرة، وليتطيب، وليلبس أنظف ثيابه، فإذا دخلها فليدخلها متواضعًا معظمًا، وليقل: «بسم الله وعلى ملة رسول الله ﷺ رب أدخلني مُدخل صدق وأخرجني مخرج صدق واجعل لي من لدنك سلطانًا نصيرًا».

ثم يقصد المسجد ويدخله، ويصلي بجنب المنبر ركعتين، ويجعل عمود المنبر حذاء منكبه الأيمن، ويستقبل السارية التي إلى جانبها الصندوق، وتكون الدائرة التي في قبلة المسجد بين عينيه، فذلك موقف رسول الله ﷺ قبل أن يغير

المسجد، وليجتهد أن يصلي في المسجد الأول قبل أن يزاد فيه.

ثم يأتي قبر النبي ﷺ فيقف عند وجهه، وذلك بأن يستدبر القبلة ويستقبل جدار القبر على نحو من أربعة أذرع من السارية التي في زاوية جدار القبر، ويجعل القنديل على رأسه، وليس من السنة أن يمس الجدار ولا أن يقبله، بل الوقوف من بعد أقرب للاحترام فيقف ويقول: «السلام عليك يا رسول الله، السلام عليك يا نبي الله، السلام عليك يا حبيب الله، السلام عليك يا صفوة الله، السلام عليك يا خيرة الله، السلام عليك يا أحمد، السلام عليك يا محمد، السلام عليك يا أبا القاسم، السلام عليك يا ماحي، السلام عليك يا عاقب، السلام عليك يا حاشر، السلام عليك يا بشير، السلام عليك يا نذير، السلام عليك يا طاهر، السلام عليك يا أكرم ولد آدم، السلام عليك يا سيد المرسلين، السلام عليك يا خاتم النبيين، السلام عليك يا رسول رب العالمين، السلام عليك يا قائد الخير، السلام عليك يا فاتح البر، السلام عليك يا نبي الرحمة، السلام عليك يا هادي الأمة، السلام عليك يا قائد الغر المحجلين، السلام عليك وعلى أهل بيتك الذين أذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيرًا، السلام عليك وعلى أصحابك الطيبين وعلى أزواجك الطاهرات أمهات المؤمنين، جزاك الله عنا أفضل ما جزى نبيًا عن قومه ورسولًا عن أمته، وصلى عليك كلما ذكرك الذاكرون، وكلما غفل عنك الغافلون، وصلى عليك في الأولين والآخرين أفضل وأكمل وأعلى وأجل وأطيب وأطهر ما صلى على أحد من

خلقه، كما استنقذنا بك من الضلالة، وبصرنا بك من العماية، وهدانا بك من الجهالة، أشهد ألا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أنك عبده ورسوله، وأمينه وصفيه، وخيرته من خلقه، وأشهد أنك قد بلغت الرسالة، وأديت الأمانة، ونصحت الأمة، وجاهدت عدوك، وهديت أمتك، وعبدت ربك حتى أتاك اليقين، فصلى الله عليك وعلى أهل بيتك الطيبين وسلم وشرف وكرم وعظم».

وإن كان قد أوصى بتبليغ سلام فيقول: «السلام عليك من فلان، السلام عليك من فلان».

ثم يتأخر قدر ذراع ويسلم على أبي بكر الصديق ﷺ لأن رأسه عند منكب رسول الله، ورأس عمر ﷺ عند منكب أبي بكر ﷺ ثم يتأخر قد ذراع ويسلم على الفاروق عمر ﷺ ويقول: «السلام عليكما يا وزيري رسول الله ﷺ، والمعاونين له على القيام بالدين ما دام حيًّا، والقائمين في أمته بعده بأمور الدين، تتبعان في ذلك آثاره، وتعملان بسنته، فجزاكما الله خير ما جزى وزيري نبي عن دينه» ثم يرجع فيقف عند رأس رسول الله ﷺ بين القبر والأسطوانة اليوم ويستقبل القبلة، وليحمد الله ﷻ، وليمجده، وليكثر من الصلاة على رسول الله ﷺ ثم يقول: «اللهم إنك قد قلت وقولك الحق: ﴿ **وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذۡنِ ٱللَّهِۚ وَلَوۡ أَنَّهُمۡ إِذ ظَّلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ جَآءُوكَ فَٱسۡتَغۡفَرُواْ ٱللَّهَ وَٱسۡتَغۡفَرَ لَهُمُ ٱلرَّسُولُ لَوَجَدُواْ ٱللَّهَ تَوَّابًا رَّحِيمًا** ﴾ اللهم إنا قد سمعنا قولك وأطعنا أمرك

وقصدنا نبيك، متشفعين به إليك في ذنوبنا وما أثقل ظهورنا من أوزارنا، تائبين من زللنا معترفين بخطايانا وتقصيرنا، فتب اللهم علينا، وشفع نبيك هذا فينا، وارفعنا بمنزلته عندك وحقه عليك، اللهم اغفر للمهاجرين والأنصار، واغفر لنا ولإخواننا الذين سبقونا بالإيمان، اللهم لا تجعله آخر العهد من قبر نبيك ومن حرمك يا أرحم الراحمين.

ثم يأتي الروضة فيصلي فيها ركعتين ويكثر من الدعاء ما استطاع لقوله ﷺ: **«ما بين قبري ومنبري روضة من رياض الجنة ومنبري على حوضي»**[1] ويدعو عند المنبر، ويستحب أن يضع يده على الرمانة السفلى التي كان رسول الله ﷺ يضع يده عليها عند الخطبة، ويستحب له أن يأتي أُحدًا يوم الخميس ويزور قبور الشهداء، فيصلي في مسجد النبي ﷺ ثم يخرج، ويعود إلى المسجد لصلاة الظهر، فلا يفوته الجماعة في المسجد، ويستحب أن يخرج كل يوم إلى البقيع بعد السلام على رسول الله ﷺ ويزور قبر عثمان ﷺ وقبر الحسن بن علي رضي الله عنهما، وفيه أيضًا قبر علي بن الحسين ومحمد بن علي وجعفر بن محمد رضي الله عنهم، ويصلي في مسجد فاطمة رضي الله عنها ويزور قبر إبراهيم ابن رسول الله ﷺ وقبر صفية عمة رسول الله ﷺ؛ فذلك كله بالبقيع.

ويستحب له أن يأتي مسجد قباء ويصلي فيه؛ لما روي أن رسول الله ﷺ قال:

---

(١) متفق عليه.

«**من خرج من بيته حتى يأتي مسجد قباء ويصلي فيه كان له عدل عمرة**»[1] ويأتي بئر أريس، ويقال إن النبي ﷺ تفل فيها، وهي عند المسجد، فيتوضأ منها ويشرب من مائها، ويأتي مسجد الفتح وهو على الخندق، وكذا يأتي سائر المساجد والمشاهد فينبغي أن يستعمل هذه السنة في رجوعه وإذا يحرك الدابة ويقول: «اللهم اجعل لنا بها قرارًا ورزقًا حسنًا» ثم ليرسل إلى أهله من يخبرهم بقدومه كي لا يقدم عليهم بغتة، فذلك هو السنة ولا ينبغي أن يطرق أهله ليلًا. فإذا دخل البلد فليقصد المسجد أولًا وليصلِّ ركعتين كذلك يفعل رسول الله ﷺ.

فإذا دخل بيته قال: «توبًا توبًا لربنا أوبًا لا يغادر علينا حوبًا» فإذا استقر في منزله فلا ينبغي أن ينسى ما أنعم الله به عليه من زيارة بيته وحرمه وقبر نبيه ﷺ؛ فيكفر تلك النعمة بأن يعود إلى الغفلة واللهو والخوض في المعاصي، فما ذلك علامة الحج المبرور، بل علامته أن يعود زاهدًا في الدنيا راغبًا في الآخرة متأهبًا للقاء رب البيت بعد لقاء البيت.

ومن أسرار زيارة مدينة رسول الله ﷺ كما صورها لنا الإمام الغزالي:

قال: «وأما زيارة المدينة: فإذا وقع بصرك على حيطانها فتذكر أنها البلدة التي اختارها الله ﷻ لنبيه ﷺ وجعل إليها هجرته وأنها داره التي شرع فيها فرائض

(١) أخرجه النسائي وابن ماجه.

ربه ﷻ وسنته وجاهد عدوه وأظهر بها دينه إلى أن توفاه الله ﷻ ثم جعل تربته فيها وتربة وزيريه القائمين بالحق بعده رضي الله عنهما، ثم مثل في نفسك مواقع أقدام رسول الله ﷺ عند تردداته فيها وأنه ما من موضع قدم تطؤه إلَّا وهو موضع أقدامه العزيزة فلا تضع قدمك عليه إلا عن سكينة ووجل، وتذكر مشيه وتخطيه في سككها وتصور خشوعه وسكينته في المشي وما استودع الله سبحانه قلبه من عظيم معرفته ورفعة ذكره مع ذكره تعالى حتى قرنه بذكر نفسه، وإحباطه عمل من هتك حرمته ولو برفع صوته فوق صوته، ثم تذكر ما منَّ الله تعالى به على الذين أدركوا صحبته وسعدوا بمشاهدته واستماع كلامه وأعظم تأسفك على ما فاتك من صحبته وصحبة أصحابه رضي الله عنهم، ثم اذكر أنك قد فاتتك رؤيته في الدنيا وأنك من رؤيته في الآخرة على خطر، وأنك ربما لا تراه إلا بحسرة وقد حال بينك وبينه قبوله إياك بسوء عملك كما قال ﷺ «**يرفع الله إلي أقوامًا فيقولون: يا محمد يا محمد! فأقول: يا رب أصحابي فيقول: إنك لا تدري ما أحدثوا بعدك فأقول بعدًا وسحقًا**»[1] فإن تركت حرمة شريعته ولو في دقيقة من الدقائق فلا تأمن أن يحال بينك وبينه بعدولك عن محجته. وليعظم مع ذلك رجاؤك ألَّا يحول الله تعالى بينك وبينه بعد أن رزقك الإيمان وأشخصك من وطنك لأجل زيارته من غير تجارة ولاحظ في دنيا بل لمحض حبك له

---

(١) متفق عليه.

وشوقك إلى أن تنظر إلى آثاره وإلى حائط قبره؛ إذا سمحت نفسك بالسفر بمجرد ذلك لما فاتتك رؤيته؛ فما أجدرك بأن ينظر الله تعالى إليك بعين الرحمة.

فإذا بلغت المسجد فاذكر أنها العرصة التي اختارها الله سبحانه لنبيه ﷺ ولأول المسلمين وأفضلهم عصابة وأن فرائض الله سبحانه أول ما أقيمت في تلك العرصة وأنها جمعت أفضل خلق الله حيًّا وميتًا فليعظم أملك في الله سبحانه أن يرحمك بدخولك إياه فادخله خاشعًا معظمًا، وما أجدر هذا المكان بأن يستدعي الخشوع من قلب كل مؤمن؛ كما حكي عن أبي سليمان أنه قال: حج أويس القرني ﷺ ودخل المدينة فلما وقف على باب المسجد قيل له: هذا قبر النبي ﷺ فغشي عليه فلما أفاق قال: أخرجوني فليس يلذ لي بلد فيه محمد ﷺ مدفون!

وأما زيارة رسول الله ﷺ: فينبغي أن تقف بين يديه كما وصفناه وتزوره ميتًا كما تزوره حيًّا ولا تقرب من قبره إلا كما كنت تقرب من شخصه الكريم لو كان حيًّا وكما كنت ترى الحرمة في ألَّا تمس شخصه ولا تقبله بل تقف من بعد ماثلًا بين يديه فكذلك فافعل؛ فإن المس والتقبيل للمشاهدة عادة النصارى واليهود. واعلم أنه عالم بحضورك وقيامك وزيارتك وأنه يبلغه سلامك وصلاتك؛ فمثل صورته الكريمة في خيالك موضوعًا في اللحد بإزائك، وأحضر عظيم رتبته في قلبك؛ فقد روي عنه ﷺ أن الله تعالى وكَّل بقبره ملكًا يبلغه سلام من سلم عليه من أمته هذا في حق من لم يحضر قبره فكيف بمن فارق الوطن وقطع البوادي شوقًا إلى لقائه واكتفى بمشاهدة مشهده الكريم إذ فاته مشاهدة غرته

الكريمة؟ وقد قال ﷺ «**من صلى عليَّ مرة واحدة صلى الله عليه بها عشرًا**»[1] فهذا جزاؤه في الصلاة عليه بلسانه فكيف بالحضور لزيارته ببدنه؟ ثم ائتِ منبر الرسول ﷺ وتوهم صعود النبي ﷺ المنبر ومثل في قلبك طلعته البهية كأنها على المنبر وقد أحدق به المهاجرون والأنصار رضي الله عنهم وهو ﷺ يحثهم على طاعة الله ﷻ بخطبته، وَسَلِ الله ﷻ ألَّا يفرق في القيامة بينك وبينه؛ فهذه وظيفة القلب في أعمال الحج.

فإذا فرغ منها كلها فينبغي أن يلزم قلبه الحزن والهم والخوف وأنه ليس يدري أقبل منه حجه وأثبت في زمرة المحبوبين أم رد حجه وألحق بالمطرودين، وليتعرف ذلك من قلبه وأعماله فإن صادف قلبه قد ازداد تجافيًا عن دار الغرور وانصرافًا إلى دار الأنس بالله تعالى ووجد أعماله قد اتزنت بميزان الشرع فليثق بالقبول فإن الله تعالى لا يقبل إلا من أحبه، ومن أحبه تولاه وأظهر عليه آثار محبته وكف عنه سطوة عدوِّه إبليس لعنه الله فإذا ظهر ذلك عليه دل على القبول وإن كان الأمر بخلافه فيوشك أن يكون حظه من سفره العناء والتعب؛ نعوذ بالله سبحانه وتعالى من ذلك».

---

(١) أخرجه النسائي.



من فقه المعاني والمقاصد والدلالات في الحج

قال الدكتور محمد عمارة في مقال له حول فقه المعاني والمقاصد والدلالات في الحج: جعل الله- سبحانه وتعالى- حج أمتنا الإسلامية إلى بيت الله الحرام، وليس إلى مكان آخر سواه. وفي فقه هذه الحكمة ووعيها يمكن أن يقال الكثير:

لقد شاء الله أن يكون حج الأمة الخاتمة لرسالات السماء- أمة الإسلام- إلى البيت الحرام؛ لأن هذا البيت هو أول بيت عُبد الله فيه على هذه الأرض.. ففيه بدأ الدين، وإليه يكون حج الأمة الخاتمة رمزًا وتجسيدًا لوحدة دين الله من آدم إلى محمد ﷺ.... وهو أيضًا تكريم لهذه الأمة عندما جمع الله لها طرفي المجد الديني فكانتا قبلتها وكان حجها إلى أول بيت وضع للناس في الأرض التي هي دار الأمانة والتكليف والاستخلاف.

ولما كان أبو الأنبياء إبراهيم الخليل وابنه الذبيح إسماعيل عليهما السلام قد أقاما قواعد هذا البيت العتيق فلقد شاء الله أن يكون إليه حج أمة خاتم الأنبياء الذي أحيت شريعته ملة إبراهيم والذي تعيد أمته في مناسك حجها مناسك إبراهيم وإسماعيل وهاجر مجُسِّدة بهذا الإحياء وَحْدَةَ دين الله: ﴿ قُلْ صَدَقَ ٱللَّهُ ۗ فَٱتَّبِعُوا۟ مِلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿٩٥﴾ إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِى بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِّلْعَٰلَمِينَ ﴿٩٦﴾ فِيهِ ءَايَٰتٌۢ بَيِّنَٰتٌ مَّقَامُ إِبْرَٰهِيمَ ۖ وَمَن دَخَلَهُۥ كَانَ ءَامِنًا ۗ وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلْبَيْتِ مَنِ ٱسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا ۚ وَمَن كَفَرَ

﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾[1].

فإلى أول بيت تحج الأمة الخاتمة، لتحيي أمة خاتم الأنبياء مناسك ملة أبي الأنبياء.

* ونحن في حاجة إلى فقه الإعجاز الخالد الذي يشعر به ويعيشه كل من حج إلى بيت الله الحرام.. فلقد دعا إبراهيم الخليل ربه أن يجعل أفئدة من الناس تهوي إلى بيته الحرام؛ فتجسدت الإجابة في هذا الحج، الذي ربط القلوب- وليس الأجساد- بهذا البيت العتيق.. بل وليس مطلق القلوب؛ لأن «الأفئدة» هي «القلوب المتوقدة» بالأشواق.. وهي «تهوي» إلى هذا المكان اشتياق النفس إلى ما تشتهيه!..

لقد تجسدت معجزة الإجابة الإلهية لدعوة أبي الأنبياء في حجيج أمة محمد- خاتم الأنبياء-.. تجسدت آية من آيات الله المبثوثة في النفوس والأفئدة المتوقدة شوقًا إلى بيت الله الحرام توقدًا دائمًا، وشوقًا خالدًا عند كل مؤمن، وعلى مر سنوات عمره، وعبر القرون والقارات، وفي كل القبائل والشعوب.

﴿ رَّبَّنَآ إِنِّيٓ أَسْكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِندَ بَيْتِكَ ٱلْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ فَٱجْعَلْ أَفْـِٔدَةً مِّنَ ٱلنَّاسِ تَهْوِيٓ إِلَيْهِمْ وَٱرْزُقْهُم مِّنَ ٱلثَّمَرَٰتِ

---

(1) آل عمران: ٩٥-٩٧.

﴿ لَعَلَّهُمۡ يَشۡكُرُونَ ﴾[1].

* ونحن في حاجة إلى فقه الحكمة التي جعلت من حجة رسول الله ﷺ سنة ١٠هـ لحظة اكتمال الدين، فعندما أتم الرسول والمؤمنون مناسك الحج ووقفوا بعرفة وأعلن خاتم الأنبياء في العالمين ميثاق حقوق الله وحقوق الإنسان المستخلف عن الله نزل الروح الأمين بوحي الله الذي يقول: ﴿ ٱلۡيَوۡمَ يَئِسَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِن دِينِكُمۡ فَلَا تَخۡشَوۡهُمۡ وَٱخۡشَوۡنِۚ ٱلۡيَوۡمَ أَكۡمَلۡتُ لَكُمۡ دِينَكُمۡ وَأَتۡمَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ نِعۡمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلۡإِسۡلَٰمَ دِينٗاۚ ﴾[2].

فعندما أقام النبي الخاتم والأمة الخاتمة مناسك حج ملة إبراهيم- أبي الأنبياء- مَثَّلَ ذلك اكتمال أركان الإسلام واكتمال هذا الإسلام الذي هو دين الله الواحد عبر كل رسالات السماء: ﴿ إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلۡإِسۡلَٰمُۗ ﴾[3].

وليس المراد باكتمال الدين هنا اكتمال الوحي القرآني أو الشريعة المحمدية؛ فبعد هذه الآية نزلت آيات وتشريعات من مثل آيات الربا والكلالة.. وغيرها.

* ونحن في حاجة إلى فقه سر معجزة الأمن والأمان الذي يغمر المؤمن في بيت الله الحرام حتى ليزيد هذا الأمن على ما يشعر به الإنسان في مسكنه الخاص..

---

(١) إبراهيم: ١٤.

(٢) المائدة: ٣.

(٣) آل عمران: ١٩.

فبصرف النظر عن جغرافية الأوطان واختلاف الألوان وتعدد اللغات وتنوع الشعوب والأمم يجد الحاج من الأمن والأمان في بيت الله الحرام ما يفسر الإرادة الإلهية والجعل الرباني الذي عبر عنه القرآن الكريم عندما قال: ﴿ وَإِذْ جَعَلْنَا ٱلْبَيْتَ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ وَأَمْنًا وَٱتَّخِذُوا۟ مِن مَّقَامِ إِبْرَٰهِـۧمَ مُصَلًّى ۖ وَعَهِدْنَآ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَـٰعِيلَ أَن طَهِّرَا بَيْتِىَ لِلطَّآئِفِينَ وَٱلْعَـٰكِفِينَ وَٱلرُّكَّعِ ٱلسُّجُودِ ﴿١٢٥﴾ وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ رَبِّ ٱجْعَلْ هَـٰذَا بَلَدًا ءَامِنًا وَٱرْزُقْ أَهْلَهُۥ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ مَنْ ءَامَنَ مِنْهُم بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ ۖ ﴾[1].

وحتى يكون هذا البيت آمنًا ومحققًا قمة الأمن والأمان للطائفين والعاكفين والركع السجود منذ أن وُضع للناس في الأرض وإلى أن يرث الله الأرض ومن عليها فلقد شاء الله أن ينفرد بالحرية والتحرر من استعباد الجبارين والمستعمرين عبر قرون التاريخ؛ فلم يخضع لجبار ولا لمستعمر، وكان الناس من حوله تتخطفهم مخاطر الاستبداد والاستعباد، وهو آمن أبدًا: ﴿ أَوَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّا جَعَلْنَا حَرَمًا ءَامِنًا وَيُتَخَطَّفُ ٱلنَّاسُ مِنْ حَوْلِهِمْ ۚ أَفَبِٱلْبَـٰطِلِ يُؤْمِنُونَ وَبِنِعْمَةِ ٱللَّهِ يَكْفُرُونَ ﴿٦٧﴾ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِٱلْحَقِّ لَمَّا جَآءَهُۥٓ ۚ أَلَيْسَ فِى

(١) البقرة: ١٢٥-١٢٦.

جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْكَافِرِينَ ﴾[1].

ولأنه كان الحرم الآمن الذي حفظه الله من الاستعباد والاستبداد سماه الله- في كتابه- (البيت العتيق)، أي الحر الذي انعتق وتحرر من كل ألوان الاسترقاق..

﴿ ثُمَّ لْيَقْضُوا تَفَثَهُمْ وَلْيُوفُوا نُذُورَهُمْ وَلْيَطَّوَّفُوا بِالْبَيْتِ الْعَتِيقِ ﴿٢٩﴾ ﴾[2].

﴿ ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ شَعَائِرَ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى الْقُلُوبِ ﴿٣٢﴾ لَكُمْ فِيهَا مَنَافِعُ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى ثُمَّ مَحِلُّهَا إِلَى الْبَيْتِ الْعَتِيقِ ﴾[3].

فهو الحر- دائمًا وأبدًا- حتى يكون حرمًا آمنًا- دائمًا وأبدًا- وعندما هددت غزوة الفيل حرية هذا الحرم الآمن لم يشك أهل مكة يومئذ في انتصار البيت العتيق على هذا التهديد، فكانت ثقة عبدالمطلب بأن «للبيت ربًّا يحميه»!.. وجاء الإعجاز الإلهي (طيرًا أبابيل) تحيل مصادر التهديد وقوى الاستعباد إلى «عصف مأكول».

فاقرأ إن شئت قول الحق سبحانه: ﴿ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَابِ الْفِيلِ ﴿١﴾ أَلَمْ يَجْعَلْ كَيْدَهُمْ فِي تَضْلِيلٍ ﴿٢﴾ وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبَابِيلَ ﴿٣﴾ فَجَعَلَهُمْ

---

(١) العنكبوت: ٦٧-٦٨.

(٢) الحج: ٢٩.

(٣) الحج: ٣٢-٣٣.

كَعَصْفٍ مَّأْكُولٍ ﴾(١).

فهناك حاجة إلى فقه معجزة «الأمن».. في هذا البيت «العتيق»..

* ونحن في حاجة إلى أن يفقه الحاج إلى بيت الله الحرام ما يمكن أن نسميه بـ«أبعاد فلسفة المكان ورسالته الخالدة».. فحول هذه الكعبة نزلت كلمات الله على خاتم الرسل والأنبياء.. وبهذه الكلمات تمت في مدرسة النبوة إعادة صياغة الجاهليين- أسرى الحمية الجاهلية وعبدة الأوثان- حتى صاروا الجيل الفريد الذي غير مجرى الدنيا والحضارة وأمسك بدفة سفينة التاريخ.. فدخل دار الأرقم بن أبي الأرقم أعراب حفاة غلاظ جفاة ليخرجوا منها وقلوبهم تفيض بالتقوى، يزيحون عن كاهل الإنسانية جبروت الكسروية واستبداد القياصرة، ليخرجوا من شاء من عباد الله من ضيق الدنيا إلى سعتها، ومن جور الأديان إلى عدل الإسلام، ومن العبودية للطواغيت إلى قمة حرية إخلاص العبودية لله!.. وليكونوا- وهم أُسْدُ الله الذين أزالوا جبروت الاستكبار- أهل الرفق والرحمة، لا بالإنسان فقط، وإنما بالحيوان أيضًا.. بل وبالنبات وسائر الطبيعة لأن هذه المدرسة التي بدأت دروسها في حرم الله الآمن قد علَّمتهم أن كل ما في هذا الكون حيٌّ يلهج- على طريقته- بتسبيح الحي القيوم: ﴿ تُسَبِّحُ لَهُ ٱلسَّمَـٰوَٰتُ ٱلسَّبْعُ وَٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ ۚ وَإِن مِّن شَىْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِۦ وَلَـٰكِن لَّا تَفْقَهُونَ

---

(١) الفيل: ١-٥.

تَسۡبِيحَهُمۡۚ إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا ﴿٤٤﴾[1].

فنحن نحج إلى المكان الذي بدأت فيه «النعمة» التي هي أعظم نعم الله على المؤمنين.. «نعمة الإسلام».. هذه النعمة تعطي هذا المكان خصوصية في فلسفة المكان.. وفي رسالة المكان.

* ونحن بحاجة إلى أن يتذكر الحاج- وهو ذاهب ليرمي جمرة العقبة- ما هو أكثر من رمي الجمرات ففي هذا المكان- العقبة- عقدت «الجمعية التأسيسية» التي تعاقدت وتعاهدت على إقامة الدولة الأولى في تاريخ الإسلام والمسلمين، الدولة التي غيرت الواقع، وجيشت الجيوش، وحولت مسار التاريخ، وجعلت المستضعفين في الأرض الأئمة والوارثين لمواريث النبوات والحضارات، وذلك عندما بايع الأنصار رسول الله ﷺ على إقامة الدولة بعد أن سبق لهم بيعته على إقامة الدين.. فولدت في العقبة الدولة التي حرست الدين، والتي ساست الاجتماع والعمران بشريعة هذا الدين.

* ونحن بحاجة إلى أن يتذكر الحاج- وهو بالعقبة أيضًا- أن رسول الله ﷺ قد أراد تأسيس الدولة الإسلامية الأولى على البيعة والشورى والاختيار، فعندما همَّ الأنصار بمبايعته على إقامة الدولة، وحماية قائدها مما يحمون منه أنفسهم ونساءهم وذرياتهم رغب إليهم أن تتم البيعة بواسطة «مؤسسة

(١) الإسراء: ٤٤.

دستورية» تنشأ بالاختيار والانتخاب، فقال لهم: «اختاروا منكم اثني عشر نقيبًا».. فولدت- بالشورى والاختيار والانتخاب- أولى المؤسسات الدستورية في الدولة الإسلامية.. وهي التي نهضت بمسئوليات «المؤازرة»، مع مؤسسة «المهاجرين الأولين»- التي نهضت في دولة الخلافة بمسئوليات الإمارة- وتوزعت بينهما الاختصاصات يوم «السقيفة»، عندما قال أبو بكر الصديق- باسم المهاجرين الأولين- لممثلي النقباء الاثني عشر: «منا الأمراء ومنكم الوزراء».

فمن العقبة- يا من ترمي الجمرات- بدأ تراث أمتنا في المؤسسات الدستورية القائمة على الشورى والاختيار والانتخاب- بمشاركة الرجال والنساء- قبل أن تعرف الأمم والحضارات لها تراثًا في هذه المؤسسات!.

* ونحن في حاجة إلى أن يتأمل الحاج- وهو في «منى»- هذه «الغابة» من الجبال السوداء الكالحة التي تحيط بمنزل الوحي وبيت الله الحرام.. ففي هذا المنظر الموحش لهذه الجبال السوداء معجزة من معجزات إلهية وصدق القرآن الكريم، ونبينا ﷺ.

لقد اتفق البشر- من كل الفلسفات والثقافات والحضارات- على العلاقة التبادلية بين «المكان» وبين «الفكر» الذي يولد وينمو في «المكان».. وإذا كان واقع «المكان المكي» هو هذه الجبال الكالحة السوداء، فأنّى لهذا «الواقع» أن يثمر «فكرًا» يستحق مضمون هذا الاصطلاح؟! وذلك فضلًا عن أن تكون

«الثمرة» هي هذا القرآن المعجز الذي تحدى- ولا يزال- أساطين البلاغة والفكر عبر الزمان والمكان والفلسفات والثقافات والحضارات.. إنها شهادة على صدق النبوة والرسالة، شاء الله أن ينطق بها هذا المكان الموحش.. هذه نماذج لخواطر- مجرد نماذج لخواطر- تدعو إلى أن نفكر ونجتهد لفقه جديد- هو فقه المقاصد والمعاني والدلالات- لتعود به «الحياة الحقة» و«الإحياء الحقيقي» لمناسك الحج إلى بيت الله الحرام.. إحياء لعلوم الدين.. وإنقاذًا لكتب الحج من جفاف وشكلية «الخرائط» التي يستخدمها السائحون.

الحج عبادة عظمى تتساوى فيها الهيئات وتتوحد الأعمال وترتفع الأصوات بنداء واحد يشترك فيه الجميع: الغني والفقير، والملك والمملوك، والرئيس والمرءوس، لباسهم الإحرام، ونداؤهم الرحمن: «لبيك اللهم لبيك، لبيك لا شريك لك لبيك، إن الحمد والنعمة لك والملك، لا شريك لك». نداء واحد على اختلاف الألسنة والألوان تجتمع الأبدان ويتوافق نطق اللسان ويتوحد مراد الجنان، يتعرف المسلمون على حاجات إخوانهم، في عرفة موسم عظيم، وفي منى ومزدلفة مقام لا شغل لهم فيه إلا ذكر الله، حتى رمي الجمار، فضلًا عن الطواف والسعي، ليس له من شغل إلا الذكر والشكر والعبادة والطاعة.

مع كل هذه الفوائد العظمى والعوائد الكبرى يظهر الأثر السيئ للجهل الشديد في التزاحم الذي يؤذي الكثيرين، بل وقد يودي بحياة بعض الضعفة والمساكين، عند رمي الجمار، أو التزاحم لتقبيل الحجر الأسود- فعل بعض ما لم يكلفوا بفعله كصعود

الصخرات التي تسمى بجبل الرحمة، وهذا يحدث بسبب خطأ عظيم هو الجهل بأحكام الدين القويم.

فمع أن الحج من أيسر العبادات تعلمًا، وأكثرها سماحة ولطفًا إلا أن الناس أحالوه من جهاد لا شوكة ولا دم فيه، فجعلوا الشوكة فيه بارزة، والدم نازفًا.

ويرجع ذلك إلى أن الحاج لا يقوم بأوجب الواجبات عليه قبل الخروج إلى الحج، وهو أن يتعلم مناسك الحج من واجبات ومندوبات ومحظورات وآداب وهيئات ورخص وسائر أعمال الحج، وهذا الخطأ هو بالنسبة للأخطاء أم لبقية الأخطاء، ويزيد من ذلك الخطأ أن الناس لم يفهموا أن عبادة الحج في هيئتها أعمال وعادات أحالتها نية التقرب إلى الله تعالى والاقتداء بالنبي ﷺ إلى عبادات؛ فالسفر والترحال واللباس إحرامًا وتحللًا والسير طوافًا وسعيًا، والمكث بمنى وعرفة ومزدلفة والمبيت وقضاء الليل والنهار، ورمي الجمار، كل هذه في هيئتها أعمال وعادات صارت بنية التقرب إلى الله وقصد الاقتداء بالنبي ﷺ صارت عبادة مشروعة بل مفروضة واجبة لازمة على كل قادر مستطيع للزاد والراحلة مع أمن الطريق وبلوغ سن التكليف.

زاد من ذلك الخطأ أن صار الناس يقلدون في أمر الحج من ليس له بذلك علم، فترى هيئة الإحرام وهي كشف الكتف الأيمن من مناسكها، مع أنه سنة فقط في أشواط القدوم السبع فحسب، لكنك ترى الحجاج جميعًا على ذلك، ويعين على هذا أن الملصقات الإرشادية ترسم صورة الحاج في إحرامه وقد

كشف كتفه الأيمن، فيثبت ذلك الخطأ، ومن أسباب الأخطاء: تسمية من يقوم بمساعدة الحجاج في تدبير الإقامة والسفر (مطوفًا) فيظن الناس أن وظيفته تعليم الناس الطواف ومناسك الحج، فترى الحاج القادم يسأل عمالًا عند أولئك المطوفين وهؤلاء لا يتورعون عن الفتيا بما لا يعلمون.

ومما يعين على ذلك طلب التكسب بالبدع، فترى أصحاب السيارات ينادون على الحجيج بالمزارات بالمدينة أو بالعمرة من التنعيم، أو الجعرانة بمكة، فيظن الناس أن هؤلاء ما داموا موجودين إلى جوار الحرم فهذا دليل صحة لهذه الأعمال، وكأنها فتوى بمشروعيتها، بل ويظنون هؤلاء محلًّا للفتيا فيسألونهم، بل وسيارات التوعية تجوب الشوارع ودعاتها يرشدون الناس في المساجد، لكن الناس لم يتعلموا أن يتحروا في أمر دينهم كما يتحروا في أمر دنياهم.

وأن العامي إذا عرضت له مسألة دينية فلا يسعه في الدين إلا السؤال عنها؛ لأن الله لم يتعبد الخلق بالجهل، إنما تعبدهم بتصحيح القصد والاقتداء بالنبي ﷺ.

لذا فإن السائل لا يصح له أن يسأل من لا يعتبر في الشريعة جوابه؛ لأنه إسناد الأمر لغير أهله، فكأن السائل يقول لمن ليس بأهل للمسألة إذا سأله: أخبرني عما لا تدري، وأنا أسترشد بك فيما نحن في الجهل به سواء، مع أنه لو سأل عن طريق أو مكان يريده ويسأل من يعلم أنه جاهل بالطريق لعده الناس من المجانين والطريق الشرعي أولى بالرعاية والعناية؛ لأنه هلاك في الآخرة،

بينما هذا هلاك في الدنيا.

والمفتي قائم في الأمة مقام النبي ﷺ؛ لحديث النبي ﷺ: «**إن العلماء ورثة الأنبياء وإن الأنبياء لم يُورثوا دينارًا ولا درهمًا، وإنما ورثوا العلم**»[1].

ويحرم التساهل في الفتوى ويحرم استفتاء من عُرف بالتساهل بالفتوى، ويحرم الفتوى بالتسارع بغير نظر ولا تفكر؛ لظنه أن الإسراع بالفتوى براعة وترك الإسراع عجز ونقص، ويبقى أن يعلم الحاج أن التزاحم على الحجر ليس من السنة، ومزاحمة النساء للرجال عند الحجر ليس من الفضل ولا يعفيها من الذنب الذي تقع فيه والذي أوقعت فيه الرجال.

وكذلك ليس من أعمال يوم عرفة صعود الجبل (الصخرات المسماة جبل الرحمة)؛ فلا النبي ﷺ صعدها، ولا أحد من أصحابه، وعمرة التنعيم إنما أذن النبي ﷺ فيها لعائشة رضي الله عنها لأنها لم تكن قد طافت قبل الحج لحيضها، وإنما فعل ذلك ليهدم قول أهل الجاهلية بحرمة العمرة لمن اعتمر حتى ينخلع ذو الحجة والمحرم ويأتي شهر صفر.

وتقبيل أحجار الكعبة ليس من الشرع إنما التقبيل للحجر الأسود فقط.

إن مناسك الحج إنما تبتغي «تقوى القلوب» ﴿ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ شَعَٰٓئِرَ ٱللَّهِ فَإِنَّهَا

(١) أخرجه الأربعة.

﴿مِن تَقۡوَى ٱلۡقُلُوبِ﴾[1] وحرام أن نختصرها في الحركات والسكنات، أو نغرق مقاصدها الروحية السامية في التفريعات والجزئيات.

---

(١) الحج: ٣٢.